كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور

٢

كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور

م



من كتاب تاريخ الدول للفخر الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خلافة هرون الرشيد

بويع بالخلافة في سنة سبعين ومائة كان الرشيد من أفاضل الخلفاء
وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنة ويغزو سنة كذلك مدة
خلافته الا سنين قليلة قالوا وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة وحج
ماشيا ولم يحج خليفة ماشيا غيره وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء
وأبناؤهم واذا لم يحج أحج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة
الظاهرة الفاخرة وكان يتشبه في أفعاله بالمنصور الا في بذل المال
فانه لم ير خليفة أسمح منه بالمال وكان لا يضيع عنده احسان
محسن ولا يؤخره وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الادب
والفقه ويكره المراء في الدين وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح
ويجزل العطاء عليه (قال الاصمعي صنع الرشيد طعاما وزخرف

مجالسه

مجالسه وأحضر أبا العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال أبو العتاهية

عش ما بدا لك سالما * فى ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * فى ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه وكان الرشيد يتواضع للعلماء قال أبو معاوية الضرير وكان من اعلم الناس أكلت مع الرشيد يوما فصب على يدى الماء رجل فقال لى يا أبا معاوية أتدرى من صب الماء على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال أنا فقلت يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا اجلالا للعلم قال نعم * فى أيامه خرج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن

(شرح كيفية الحال فى خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عليه السلام)

كان يحيى بن عبد الله قد خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية (١) وابراهيم قتيل باخمرى (٢) فمضى الى الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الامامة وبايعوه واجتمع اليه الناس من الامصار وقويت شوكته فاغتم الرشيد لذلك وندب اليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وغير ذلك فتوجه الفضل

(١) هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . (٢) اسم قرية بقرب الكوفة .

بالجنود فلاطف يحيى بن عبد الله وحذره وخوفه ورغبه فمال يحيى الى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد وأن يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم فأجابه الرشيد الى ذلك وسر به وكتب له امانا بليغا بخطه وشهد عليه فيه القضاة والفقهاء ومشايخ بنى هاشم وسير الامان مع هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد فى أول الامر بكل ما أحب ثم حبسه عنده واستفتى الفقهاء فى نقض الامان فمنهم من أفتى بصحته فحاجه ومنهم من أفتى ببطلانه فابطله ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة

(شرح الآية التى ظهرت فى قضية يحيى بن عبد الله)

حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرشيد وسعى بيحيى وقال انه بعد الامان فعل وصنع ودعا الناس الى نفسه فاحضره الرشيد من محبسه وجمع بينه وبين الزبيرى وسأله عن ذلك فأنكر فواقفه الزبيرى فقال له يحيى ان كنت صادقا فاحلف فقال الزبيرى والله الطالب الغالب وأراد أن يتم اليمين فقال له يحيى دع هذه اليمين فان الله تعالى اذا مجده العبد لم يعجل عقوبته ولكن احلف له بيمين البراءة وهى يمين عظمى صورتها أن يقول عن نفسه برئ من حول الله وقوته ودخل فى حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا فلما سمع الزبيرى هذه اليمين ارتاع لها وقال ماهذه اليمين الغريبة وامتنع من الحلف بها فقال له الرشيد مامعنى امتناعك ان كنت صادقا فيما تقول فما خوفك من هذه اليمين فحلف بها فما خرج من المجلس حتى ضرب برجله ومات وقيل ما انقضى النهار حتى مات فحملوه الى القبر وحطوه فيه وأرادوا ان يطموا القبر بالتراب

فكانوا كلما جعلوا التراب فيه ذهب التراب ولا ينطم القبر فعلموا أنها آية سماوية فسقفوا القبر وراحوا والى ذلك أشار أبو فراس ابن حمدان فى ميميته بقوله

يا جاهدا فى مساويهم يكتمها * غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم
ذاق الزبيرى غب الحنث وانكشفت * عن ابن فاطمة الاقوال والتهم

ومع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى فى الحبس شر قتلة وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقائع ورونقا وخيرا وأوسعها رقعة مملكة جبى الرشيد معظم الدنيا وكان أحد عماله صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه الى أعلى درجة وكان فاضلا شاعرا راوية للاخبار والآثار والاشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة * قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وأحضره فى قبة الى بغداد فحبسه بدار السندى بن شاهك ثم قتل وأظهر انه مات حتف أنفه

(شرح كيفية الحال فى ذلك)

كان بعض حساد موسى بن جعفر من أقاربه قد وشى به الى الرشيد وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون امامته وانه على عزم الخروج عليك وكثر فى القول فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشى مالا أحاله به على البلاد فلم يستمتع به وما وصل المال من البلاد الا وقد مرض مرضا شديدا ومات فيه. وأما الرشيد فانه حج فى تلك السنة فلما ورد المدينة قبض

علي موسى بن جعفر عليهما السلام وحمله في قبة الى بغداد فحبسه
عند السندي بن شاهك وكان الرشيد بالرقة فأمر بقتله فقتل قتلا
خفيا ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه اظهارا
انه مات حتف أنفه صلوات الله عليه وسلامه * ومات الرشيد
بطوس وكان خرج الى خراسان لمحاربة رافع بن الليث بن نصر بن
سيار وكان هذا رافع قد خرج وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند
وقتل عاملها وملكها وقويت شوكته فخرج الرشيد بنفسه اليه
فمات بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة

(شرح حال الوزارة في أيامه)

لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه قبل الخلافة يحيى بن خالد بن
برمك وظهرت دولة بني برمك حينئذ

(شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدئها ومآلها)

كانوا قديما على دين المجوس ثم أسلم من أسلم منهم وحسن اسلامهم
وقد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في أيام المنصور ونذكر ههنا
وزارة الباقين وقبل الخوض في ذلك فهذه كلمات تعرف منها نبذة
من أحوال هذه الدولة * اعلم ان هذه الدولة كانت غرة في جبهة
الدهر وتاجا على مفرق العصر ضربت بمكارمها الامثال وشدت
اليها الرحال ونيطت بها الآمال وبذلت لها الدنيا أفلاذ كبدها
ومنحتها أوفر اسعادها فكان يحيى وبنوه كالنجوم الزاهرة والبحور
الزاخرة والسيول الدافعة والغيوث الماطرة أسواق الآداب
عندهم نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية والدنيا
في أيامهم عامرة وأبهة المملكة ظاهرة وهم ملجأ اللهيف

ومعتصم الطريد ولهم يقول أبونواس

سلام على الدنيا اذا مافقدتم * بنى برمك من رائحين وغادى

(ذكر وزارة يحيى بن خالد للرشيد)

لما جلس الرشيد على سرير المملكة استوزر يحيى بن خالد بن برمك وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة فنهض يحيى بن خالد باعباء الدولة أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل وجبى الاموال وعمر الاطراف وأظهر رونق الخلافة وتصدى لمهمات المملكة وكان كاتبا بليغا لبيبا أديبا شديدا صائب الآراء حسن التدبير ضابطا لما تحت يده قويا على الامور جوادا يبارى الريح كرما وجودا يمدحه بكل لسان حلما عفيفا وقورا مهيبا وله يقول القائل

* لاتراني مصافحا كف يحيى * إنني إن فعلت ضيعت مالى

لو يمس البخيل راحة يحيى * لسخت نفسه ببذل النوال

ومن آراء يحيى السديدة ما قاله للهادى وقد عزم على أن يخلع أخاه هرون من الخلافة ويبايع لابنه جعفر بن الهادى وكان يحيى كاتب الرشيد وهو يرجو أن يتولى هرون الخلافة فيصير هو وزير الدولة فخلا الهادى بيحيى ووهب له عشرين ألف دينار وحادثه فى خلع هرون أخيه والمبايعة لجعفر ابنه فقال له يحيى يا أمير المؤمنين ان فعلت حملت الناس على نكث الأيمان ونقض العهود وتجرأ الناس على مثل ذلك ولو تركت أخاك هرون على ولاية العهد ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد فى بيعته فتركه الهادى ذلك مدة ثم غلب عليه حب الولد فأحضر يحيى مرة ثانية وفاوضه فى ذلك فقال له يحيى يا أمير المؤمنين لو حدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك

وبايعت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ أفترى كانت خلافته
تصح وكان مشايخ بني هاشم يرضون ذلك ويسلمون الخلافة اليه قال
لا قال يحيى فدع هذا الامر حتى تأتيه عفوا ولو لم يكن المهدي بايع
لهرون لوجب ان تبايع أنت له لئلا تخرج الخلافة من بني أبيك
فصوب الهادي رأيه وكان الرشيد بعد ذلك يرى هذه من أعظم أيادي
يحيى بن خالد عنده ومن مكارمه * قيل ان الرشيد لما نكب البرامكة
واستأصل شأفتهم حرم على الشعراء أن يرثوهم وأمر بالمؤاخذة على
ذلك فاجتاز بعض الحرس ببعض الخربات فرأى انسانا واقفا وفي
يده رقعة فيها شعر يتضمن رثاء البرامكة وهو ينشده ويبكي فأخذه
الحرسي وأتى به الى الرشيد وقص عليه الصورة فاستحضره الرشيد
وسأله عن ذلك فاعترف به فقال له الرشيد أما سمعت تحريمي لرثائهم
لافعلن بك ولاصنعن فقال يا أمير المؤمنين ان أذنت لي في حكاية حالي
حكيتها ثم بعد ذلك أنت ورأيك قال قل قال اني كنت من أصغر كتاب
يحيى بن خالد وأرقهم حالا فقال لي يوما أريد أن تضيفني في دارك يوما
فقلت يا مولانا أنا دون ذلك وداري لا تصلح لهذا قال لا بد من ذلك
قلت فان كان لا بد فأمهلني مدة حتى أصلح شأني ومنزلي ثم بعد ذلك
أنت ورأيك قال كم أمهلك قلت سنة قال كثير قلت فشهورا قال
نعم فمضيت وشرعت في اصلاح المنزل وتهيئة أسباب الدعوة فلما
تهيأت الاسباب أعلمت الوزير بذلك فقال نحن غدا عندك فمضيت
وتهيأت في الطعام والشراب وما يحتاج اليه فحضر الوزير في غد
ومعه ابناه جعفر والفضل وعدة يسيرة من خواص أتباعه فنزل عن
دابته ونزل ولداه جعفر والفضل ومن معه وقال يا فلان أنا جائع

فعجل لي بشيء فقال لي الفضل ابنه الوزير يحب الفراريج المشوية
فعجل منها ما حضر فدخلت وأحضرت شيئا فأكل الوزير ثم قام
يمشي في الدار وقال يا فلان فرجنا في دارك فقلت يا مولانا هذه هي
داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها قلت والله ما أملك سواها فقال
هاتوا بناء فلما حضر قال له افتح في هذا الحائط بابا فمضى ليفتح فقلت
يا مولانا كيف يجوز أن يفتح باب الى بيوت الجيران والله أوصى
بحفظ الجار قال لا بأس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير وأبناؤه
فدخلوا فيه وأنا معهم فخرجوا منه الى بستان حسن كثير الاشجار
والماء يتدفق فيه وبه من المقاصير والمساكن ما يروق كل ناظر
وفيه من الآلات والفرش والخدم والجواري كل جميل بديع
فقال هذا المنزل وجميع ما فيه لك فقبلت يده ودعوت له وتحققت
القصة فاذا هو من يوم حادثني في معنى الدعوة قد أرسل واشترى
الأملاك المجاورة لي وعمرها دارا حسنة ونقل اليها من كل شيء
وأنا لا أعلم وكنت أرى العمارة وأحسبها لبعض الجيران فقال لابنه
جعفر يا بني هذا منزل وعيال فالمادة من أين تكون له قال جعفر قد
أعطيته الضيعة الفلانية بما فيها وسأكتب له بذلك كتابا فالتفت الى
ابنه الفضل وقال له يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة
ما الذي ينفق فقال الفضل علي عشرة آلاف دينار أحملها اليه فقال
فعجلا له ما قلتما فكتب لي جعفر بالضيعة وحمل الفضل الي المال
فأثريت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك معه مالا طائلا أنا أتقلب
فيه الى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة أتمكن فيها من
الثناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها مكافأة لهم على احسانهم ولن

أقدر على مكافأته فان كنت قاتلي على ذلك فافعل مابدالك فرق الرشيد لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس في رثائهم * قيل ان هرون الرشيد حج ومعه يحيى بن خالد بن برمك ومعه ولداه الفضل وجعفر فلما وصلوا الى مدينة الرسول صلوات الله عليه جلس الرشيد ومعه يحيى فاعطيا الناس وجلس الامين ومعه الفضل بن يحيى فاعطيا الناس وجلس المأمون ومعه جعفر فاعطيا الناس فاعطوا في تلك السنة ثلاث أعطيات ضربت بكثرتها الامثال وكانوا يسمونه عام الاعطيات الثلاث وأثرى الناس بسبب ذلك وفي ذلك يقول الشاعر

أتانا بنو الآمال من آل برمك * فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المستر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى * بمكة ماتحوي ثلاثة أقمر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لأعواد منبر
اذا راض يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

(كان) يحيى يقول ما خاطبني أحد الا هبته حتى يتكلم فاذا تكلم كان بين اثنتين اما أن تزيد هيبته أو تضمحل * وكان يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار (كان) يحيى اذا ركب يعد صررا في كل صرة مائتا درهم يدفعها الى المتعرضين له

(سيرة ولده الفضل بن يحيى)

كان الفضل من كرام الدنيا وأجواد أهل عصره وكان قد أرضعته أم هرون الرشيد وأرضعت أمه الرشيد وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة

كفى لك فخرا أن أكرم حرة * غذتك بثدي والخليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها * كما زان يحيى خالدا في المشاهد

ولاه الرشيد خراسان فخرج اليه أبو الهول الشاعر مادحا معتذرا من شعر كان هجاه به فانشده

سرى نحوه من غضبة الفضل عارض
له لجة فيها البوارق والرعد
وكيف ينام الليل ملق فراشه
على مدرج يعتاده الاسد الورد
ومالى الى الفضل بن يحيى بن خالد
من الجرم ما يخشى على مثله الحقد
فجد بالرضا لا أبتغي منك غيره
ورأيك فيما كنت عودتني بعد

فقال له الفضل لا أحتمل تفريقك بين رضاى واحسانى وهما مقرونان فان أردتهما معا والا فدعهما معا ثم وصله ورضى عنه

(حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كنت قد ربيت جارية حسنة الوجه وثقفتها وعلمتها حتى برعت ثم أهديتها الى الفضل بن يحيى فقال لي يا اسحق ان رسول صاحب مصر قد ورد الى يسألنى حاجة أقترحها عليه فدع هذه الجارية عندك فانى سأطلبها وأعلمه انى أريدها فانه سوف يحضر اليك ويساومك فيها فلا تأخذ فيها أقل من

خمسين ألف دينار قال اسحق فمضيت بالجارية الى منزلي فجاءني رسول صاحب مصر وسألني عن الجارية فأخرجتها اليه فبذل فيها عشرة آلاف دينار فامتنعت فصعد الى عشرين ألف دينار فامتنعت فصعد الى ثلاثين ألفا فما ملكت نفسي حتى قلت له بعتك وسلمت الجارية اليه وقبضت منه المال ثم انى أتيت من الغد الى الفضل ابن يحيى فقال يا اسحق بكم بعت الجارية قلت بثلاثين ألف دينار قال ألم أقل لك لا تأخذ منه أقل من خمسين ألفا قلت فداك أبي وأمي والله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين ألفا فتبسم ثم قال ان رسول صاحب الروم قد سألني أيضا حاجة وسأقترح عليه هذه الجارية وأدله عليك فخذ جاريتك وانصرف الى منزلك فاذا ساومك فيها فلا تأخذ منه أقل من خمسين ألف دينار فأخذت الجارية وانصرفت الى منزلي فأتاني رسول صاحب الروم وساومني في الجارية فطلبت خمسين ألفا فقال هذا كثير ولكن تأخذ مني ثلاثين ألفا فوالله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين ألفا حتى قلت له قد بعتك ثم قبضت المال منه وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال ما صنعت وبكم بعت الجارية يا اسحق قلت بثلاثين ألفا قال سبحان الله ما أوصيتك أن لا تأخذ فيها أقل من خمسين ألفا قلت جعلت فداك والله اني لما سمعت قوله ثلاثين ألفا استرخت جميع أعضائي فضحك وقال خذ جاريتك واذهب الى منزلك ففي غد يجيء اليك رسول صاحب خراسان فقو نفسك ولا تأخذ منه أقل من خمسين ألفا قال اسحق فأخذت الجارية ومضيت الى منزلي فجاءني رسول صاحب خراسان وساومني فيها

فطلبت خمسين ألفا فقال لى هذا كثير ولكن تأخذ ثلاثين ألفا فقويت نفسي وامتنعت فصعد معي الى أربعين ألف دينار فكاد عقلي يذهب من الفرح ولم أتمالك أن قلت له بعتك فأحضر المال وأقبضنيه وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل فقال لى يا اسحق بكم بعت الجارية قلت بأربعين ألفا والله لما سمعتها منه كاد عقلي يذهب وقد حصل لى عندي جعلت فداك مائة ألف دينار ولم يبق لى أمل فأحسن الله جزاءك فأمر بالجارية فأخرجت الى وقال يا اسحق خذ جاريتك وانصرف قال اسحق فقلت هذه الجارية والله أعظم الناس بركة فأعتقتها وتزوجتها فولدت لى أولادي (قيل) أن محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس حضر يوما عند الفضل بن يحيي ومعه سفط فيه جوهر وقال له ان حاصلي قد قصر عما احتاج اليه وقد علاني دين مبلغه ألف ألف درهم واني استحي أن أعلم أحدا بذلك وآنف أن أسأل أحدا من التجار أن يقرضني ذلك وان كان معي رهن يفي بالقيمة وأنت أبقاك الله لك تجار يعاملونك وأنا أسألك أن تقترض لى من أحدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا الرهن فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن نجح هذه الحاجة أن تقيم عندي هذا اليوم فأقام عنده ثم ان الفضل أخذ السفط منه وهو مختوم بختمه وأرسل معه ألف ألف درهم ونفذ الدراهم والسفط الى منزله وأخذ خط وكيله بقبضه فأقام محمد فى دار الفضل الى آخر النهار ثم انصرف الى داره فوجد السفط ومعه ألف ألف درهم فسر بذلك سرورا عظيما فلما كان من الغد بكر الى الفضل ليشكره على ذلك فوجده قد بكر الى دار الرشيد فمضى محمد

الى دار الرشيد فلما علم الفضل به خرج من باب آخر ومضى الى دار
أبيه فمضى محمد اليه فحين علم به خرج من باب آخر ومضى الى منزله
فمضى محمد اليه واجتمع به وشكره على فعله وقال له انى بكرت اليك
لاشكرك على احسانك فقال له الفضل انى فكرت فى أمرك فرأيت
أن هذه الالف ألف التى حملتها أمس اليك تقضى بها دينك
ثم تحتاج فتقترض فبعد قليل يعلوك مثلها فبكرت اليوم الى أمير
المؤمنين وعرضت عليه حالك وأخذت لك منه ألف ألف درهم
أخرى فلما حضرت الى باب أمير المؤمنين خرجت أنا من باب آخر
وكذلك فعلت لما حضرت الى باب أبى لانى ما كنت أوثر أن ألقاك
حتى يحمل المال الى منزلك وقد حمل فقال له محمد بأى شئ أجازيك
على هذا الاحسان ما عندى شئ أجازيك به الا أنى التزم بالايمان
المؤكدة وبالطلاق والعتاق والحج أنى ما أقف على باب غيرك
ولا أسأل سواك قالوا وحلف محمد أيمانا مؤكدة وكتب بها خطه
وأشهد بها عليه أنه لا يقف بباب غير الفضل بن يحيى فلما ذهبت
دولة البرامكة وتولى الفضل بن الربيع الوزارة بعدهم احتاج محمد
فقالوا له لو ركبت الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتزم باليمين فلم
يركب الى أحد ولم يقف على باب أحد حتى مات

(سيرة جعفر بن يحيى البرمكى)

كان جعفر بن يحيى فصيحا لبيبا ذكيا فطنا كريما حليما وكان الرشيد
يأنس به أكثر من أنسه بأخيه الفضل لسهولة أخلاق جعفر
وشراسة أخلاق الفضل قال الرشيد يوما ليحيى يا أبى ما بال الناس
يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرا بذلك فقال يحيى

لان الفضل يخلفني قال فضم الى جعفر أعمالا كأعمال الفضل
فقال يحيى ان خدمتك ومنادمتك يشغلانه عن ذلك فجعل اليه
أمر دار الرشيد وسمي بالوزير الصغير أيضا * قال الرشيد يوما ليحيى قد
أحببت أن أنقل ديوان الخاتم من الفضل الى جعفر وقد استحييت
من مكاتبته في هذا المعنى فاكتب أنت اليه فكتب يحيى الى
الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله أمره أن تحول الخاتم من
يمينك الى شمالك فأجابه الفضل قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين
في أخي وما انتقلت عني نعمة صارت اليه ولا غربت عني رتبة
طلعت عليه * فقال جعفر لله در أخي ما أكيس نفسه وأظهر دلائل
الفضل عليه وأقوى منة العقل عنده وأوسع في البلاغة ذرعه
(قيل) ان جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوما للشرب وأحب الخلوة
فاحضر ندماءه الذين يأنس بهم وجلس معهم وقد هيئ المجلس
ولبسوا الثياب المصبغة وكانوا اذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو
لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر ثم ان جعفر بن يحيى تقدم
الى الحاجب ان لا يأذن لاحد من خلق الله تعالى سوى رجل من
الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح ثم جلسوا
يشربون ودارت الكاسات وخفقت العيدان وكان رجل من
أقارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن
العباس وكان شديد الوقار والدين والحشمة وكان الرشيد قد التمس
منه أن ينادمه ويشرب معه وبذل له على ذلك أموالا جليلة فلم
يفعل فاتفق ان هذا عبد الملك بن صالح حضر الى باب جعفر بن يحيى
ليخاطبه في حوائج له فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذي

تقدم جعفر بن يحيى بالاذن له وان لايدخل غيره فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسى على جعفر بن يحيى فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء وفطن ان القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم وفطن عبد الملك بن صالح أيضا القصة وظهر له الخجل فى وجه جعفر بن يحيى فانبسط عبد الملك وقال لا بأس عليكم أحضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيأ فأحضر له قميص مصبوغ فلبسه وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمازحه وقال اسقونا من شرابكم فسقوه رطلا وقال ارفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا ثم باسطهم ومازحهم ومازال حتى انبسط جعفر بن يحيى وزال انقباضه وحياؤه ففرح جعفر بذلك فرحا شديدا وقال له ما حاجتك قال جئت أصلحك الله فى ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها أولها أن على دينا مبلغه ألف ألف درهم أريد قضاءه وثانيها أريد ولاية لابنى يشرف بها قدره وثالثها أريد أن تزوج ولدى بابنة الخليفة فانها ابنة عمه وهو كفؤ لها فقال جعفر بن يحيى قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث أما المال ففى هذه الساعة يحمل الى منزلك وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر وأما الزواج فقد زوجته فلانة ابنة مولانا أمير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف فى أمان الله فراح عبد الملك الى منزله فرأى المال قد سبقه ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ماجرى وانه قد ولاه مصر وزوجه ابنته فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التقليد بمصر وأحضر القضاة والشهود وعقد العقد * وقيل ان جعفر بن يحيى كان بينه

وبين صاحب مصر عداوة ووحشة وكان كل منهما يجانب الآخر فزور بعض الناس كتابا عن لسان جعفر بن يحيى الى صاحب مصر مضمونه أن حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا وقد آثر التفرج في الديار المصرية فأريد أن تحسن الالتفات اليه وبالغ في الوصية ثم أخذ الكتاب ومضى الى مصر وعرضه على صاحبها فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به الا انه حصل عنده ارتياب وشك في الكتاب فأكرم الرجل وأنزله في دار حسنة وأقام له ما يحتاج اليه وأخذ الكتاب منه وأرسله الى وكيله ببغداد وقال له قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد ارتبت به فأريد أن تتفحص لي عن حقيقة الحال في ذلك وهل هذا خط الوزير أم لا وأرسل كتاب الوزير بصحبة مكتوب به الى وكيله فجاء الوكيل الى وكيل الوزير وحدثه بالقصة وأراه الكتاب فأخذه وكيل الوزير ودخل الى الوزير وعرفه الحال فلما وقف جعفر بن يحيى على الكتاب علم أنه مزور عليه وكان عنده جماعة من ندمائه ونوابه فرمى الكتاب اليهم وقال لهم أهذا خطي فتأملوه وأنكروه كلهم وقالوا هذا مزور على الوزير فعرفهم صورة الحال وأن الذي زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها وأنه ينتظر عود الجواب بتحقيق حاله وقال لهم ما ترون وكيف ينبغي أن نفعل في هذا فقال بعضهم ينبغي أن يقتل هذا الرجل حتى تنحسم هذه المادة ولا يرجع أحد يتجرأ على مثل هذا الفعل وقال آخر ينبغي أن تقطع يمينه التي زور بها هذا الخط وقال آخر ينبغي أن يوجع ضربا ويطلق الى حال سبيله وكان أحسنهم محضرا من قال ينبغي أن تكون عقوبته على هذا الفعل حرمانه

وأن يعرف صاحب مصر بحاله لجرمه فيكفيه من العقوبة أنه قد قطع هذه المسافة البعيدة من بغداذ الى مصر ثم يرجع خائبا فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر سبحان الله أليس فيكم رجل رشيد قد علمتم ما كان بيني وبين صاحب مصر من العداوة والمجانبة وأن كل واحد منا كانت تمنعه عزة النفس أن يفتح باب الصلح فقد قيض الله لنا رجلا فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة وأزال بيننا تلك العداوة فكيف يكون جزاؤه ماذكرتم من الاساءة ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر الكتاب الى صاحب مصر سبحان الله كيف حصل لك الشك في خطي هذا خط يدي والرجل من أعز أصحابي وأريد أن تحسن اليه وتعيده الى سريعا فاني مشتاق اليه محتاج الى حضوره فلما وصل الكتاب وفي ظاهره خط الوزير الى صاحب مصر كاد يطير من الفرح وأحسن الى الرجل غاية الاحسان وواصله بمال كبير وتحف جميلة ثم ان الرجل رجع الى بغداذ وهو أحسن الناس حالا فحضر الى مجلس جعفر ووقع يقبل الارض ويبكي فقال له جعفر من أنت يا أخي قال يا مولانا أنا عبدك وصنيعتك المزور الكذاب المتجرئ فعرفه جعفر وبش به وأجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقال له كم وصل اليك منه فقال مائة ألف دينار فاستقلها جعفر وقال لازمنا حتى نضاعفها لك فلازمه مدة فكسب معه مثلها * ومازالت دولة البرامكة في علو وارتفاع وتزايد حتى انحرفت عنهم الدنيا (امارة تدل على انحراف دولتهم) حدث بختيشوع الطبيب قال دخلت يوما على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بحذائه من

الجانب الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جزى الله يحيى خيرا تصدى للامور وأراحني من الكد ووفر أوقاتي على اللذة ثم دخلت اليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال استبد يحيى بالامور دوني فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها الا اسمها قال فعلمت انه سينكبهم ثم نكبهم عقب ذلك

(شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفية الحال في ذلك)

اختلف أصحاب السير والتواريخ في ذلك فقيل ان الرشيد ما كان يصبر عن أخته عباسة ولا عن جعفر بن يحيى فقال له أزوجكها حتى يحل لك النظر اليها ثم لا تقربها فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان بانفسهما فجامعها جعفر فحملت منه وولدت ولدين وكتمت الامر في ذلك حتى علم الرشيد فكان ذلك سبب نكبة البرامكة وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد كلف جعفر بن يحيى قتل رجل من آل أبي طالب فتحرج جعفر من ذلك وأطلق الطالبي وسعي الى الرشيد بجعفر فقال له ما فعل الطالبي قال هو في الحبس قال الرشيد بحياتي ففطن جعفر فقال لا وحياتك ولكن أطلقته لاني علمت انه ليس عنده مكروه فقال الرشيد نعم ما فعلت فلما قام جعفر قال الرشيد قتلني الله ان لم أقتلك ثم نكبهم وقيل أن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم الى الرشيد ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجانهم للاموال حتى أوغروا صدره فاوقع بهم وقيل ان جعفرا والفضل ابني يحيى

ظهر منهما من الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك وقيل ان يحيى بن خالد رؤى وهو بمكة يطوف حول البيت و يقول اللهم ان كان رضاك فى ان تسلبنى نعمتك عندى وتسلبنى أهلى ومالى وولدى فاسلبنى الا الفضل ولدى ثم ولى فلما مشى قليلا عاد وقال يارب انه سمج بمثلى ان يستثنى عليك اللهم والفضل فنكبهم الرشيد بعد قليل

(شرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أهله)

كان الرشيد قد حج فلما عاد من الحج سار من الحيرة الى الانبار فى السفن وجعل يشرب وركب جعفر بن يحيى الى الصيد وجعل يشرب تارة و يلهو أخرى وتحف الرشيد وهداياه تأتيه وعنده بختيشوع الطبيب وأبو بكار الاعمى يغنيه فلما أظل المساء دعا الرشيد مسرورا الخادم وكان مبغضا لجعفر وقال اذهب فجئنى برأس جعفر ولا تراجعنى فوافاه مسرور وبغيراذن وهجم عليه وأبو بكار يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فلما دخل مسرور قال له جعفر بن يحيى لقد سررتنى بمجيئك وسؤتنى بدخولك على بغير اذن فقال الذى جئت به أعظم أجب أمير المؤمنين الى ما يريد بك فوقع على رجليه فقبلهما وقال له عاود أمير المؤمنين فان الشراب قد حمله على ذلك وقال دعنى أدخل دارى فأوصى فقال الدخول لا سبيل اليه وأما الوصية فأوص بما بدا لك فأوصى ثم حمله الى منزل الرشيد وعدل به الى قبة وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس الى الرشيد و بدنه فى نطع ووجه الرشيد فقبض على

أبيه واخوته وأهله وأصحابه وحبسهم بالرقة واستأصل شأفتهم * ومن ظريف ما وقع في ذلك ما رواه العمراني المؤرخ قال حدث فلان قال دخلت الديوان فنظرت في بعض تذاكر الثواب فرأيته فيها أربعمائة ألف دينار ثمن خلعة لجعفر بن يحيى الوزير ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبواري لاحراق جثة جعفر بن يحيى فعجبت من ذلك ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع وكان حاجبه

(وزارة أبي العباس الفضل بن الربيع)

قد مضى ذكر أبيه وأما الفضل فكان حاجبا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم كان الفضل بن الربيع شهما خبيرا بأحوال الملوك وآدابهم ولما ولي الوزارة تمرس بالادب وجمع اليه أهل العلم فحصل منه ما أراد في مدة يسيرة وكان أبو نواس من شعرائه المنقطعين اليه فمن شعره في آل الربيع

عباس عباس اذا اضطرم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

ومازال الفضل بن الربيع على وزارته الى أن مات الرشيد بطوس فجمع الفضل العسكر وما فيه ورجع الى بغداد انتهى ذكر خلافة هرون الرشيد

(ذكر خلافة أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله)

بويع له بالخلافة في سنة أربعين وستمائة وهو آخر الخلفاء العباسيين كان المستعصم رجلا خيرا متدينا لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان والفرج حمل كتاب الله تعالى وكتب خطا مليحا

وكان سهل الاخلاق وكان خفيف الوطأة الا انه كان مستضعف الرأى ضعيف البطش قليل الخبرة بامور المملكة مطموعا فيه غير مهيب فى النفوس ولا مطلع على حقائق الامور وكان زمانه ينقضى أكثره بسماع الاغانى والتفرج على المساخرة وفى بعض الاوقات يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه كبير فائدة وكان أصحابه مستولين عليه وكلهم جهال من أراذل العوام الا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمى فانه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال وكان مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض صباح مساء وكانت عادة الخلفاء أكثرهم ان يحبسوا أولادهم وأقاربهم وبذلك جرت سنتهم الى آخر أيام المستنصر فلما ولى المستعصم أطلق أولاده الثلاثة ولم يحبسهم وهم الامير الكبير أبو العباس أحمد والعامة تسميه أبا كرخ وليس بصحيح وانما سموه بذلك لانه لما نهب الكرخ نسب الامر فى ذلك اليه وقيل انه هو الذى أشار بذلك والامير الاوسط وهو أبو الفضائل عبد الرحمن كان شهما نفرج بين يدى السلطان هولاكو ووقع كلامه بموضع الاستحسان فى الحضرة السلطانية والامير الاصغر أبو المناقب حدثنى صفى الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموى وكان قد صار فى آخر أيام المستعصم مقربا عنده ومن خواصه وكان قد استجد فى آخر أيامه خزانة كتب ونقل اليها من نفائس الكتب وسلم مفاتيحها الى عبد المؤمن فصار عبد المؤمن يجلس بباب الخزانة يفسخ له ما يريد واذا خطر للخليفة الجلوس فى خزانة الكتب جاء اليها وعدل عن الخزانة الاولى التى كانت مسلمة الى الشيخ صدر الدين على بن النيار

قال أعنى عبد المؤمن كنت مرة جالسا فى حجرة صغيرة وانا أنسخ
وهناك مرتبة برسم الخليفة اذا جاء الى هنالك جلس عليها وقد
بسطت عليها ملحفة لترد عنها الغبار فجاء خويدم صغير ونام قريبا
من المرتبة المذكورة واستغرق فى النوم فتقلب حتى تلفف فى تلك
الملحفة المبسوطة على المرتبة ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند
قال وأنا مشغول بالنسخ فأحسست بوطء فى الدهليز فنظرت فاذا
هو الخليفة وهو يستدعينى بالاشارة ويخفف وطأه فقمت اليه
منزعجا وقبلت الارض فقال لى هذا الخويدم الذى قد نام حتى تلفف
فى هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند متى هجمت عليه حتى
يستيقظ ويعلم انى قد شاهدته على هذه الحال تنفطر مرارته من
الخوف فايقظه أنت برفق فانى سأخرج الى البستان ثم أعود قال
وخرج الخليفة فدخلت الى الخويدم وأيقظته فانتبه ثم اصلحنا
المرتبة ثم دخل الخليفة * وحدثنى بعض أهل بغداد حدثت ان
الشيخ صدر الدين بن النيار شيخ الخليفة قال دخلت مرة الى خزانة
الكتب على عادتى وفى كمى منديل فيه رقاع كثيرة لجماعة من
أرباب الحوائج فطرحت المنديل وفيه الرقاع فى موضعى ثم قمت
لبعض شأنى فلما عدت الى الخزانة بعد ساعة حللت الرقاع من
المنديل حتى أتأملها وأقدم منها المهم فرأيتها جميعها وعليها توقيع
الخليفة بالاجابة الى جميع ما فيها فعلمت ان الخليفة قد جاء الى الخزانة
عند قيامى فرأى المنديل وفيه الرقاع ففتحها ووقع على جميعها
والمستعصم هو آخر خلفاء الدولة العباسية ببغداد ولم يجر فى أيام
المستعصم شئ يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس الاثر ذلك وفى آخر

أيامه فقويت الاراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هولاكو فلم يحرك ذلك منه عزما ولا نبه منه همة ولا أحدث عنده هما وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شئ ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والاهمال ولم يكن يتصور حقيقة الحال فى ذلك ولا يعرف هذه الدولة يسر الله احسانها وأعلى شأنها حق المعرفة وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمى يعرف حقيقة الحال فى ذلك ويكاتبه بالتحذير والتنبيه ويشير عليه بالتيقظ والاستعداد وهو لا يزداد الا غفولا وكان خواصه يوهمونه انه ليس فى هذا كبير خطر ولا هناك محذور وان الوزير انما يعظم هذا لينفق سوقه ولتبرز اليه الاموال ليجند بها العساكر فيقتطع منها لنفسه وما زالت غفلة الخليفة تنمو ويقظة الجانب الآخر تتضاعف حتى وصل العسكر السلطانى الى همذان وأقام بها مدة ثم تواترت الرسل السلطانية الى الديوان المستعصمى فوقع التعيين من ديوان الخليفة على ولد أستاذ الدار وهو شرف الدين عبد الله بن الجوزى فبعث رسولا الى خدمة الدركاه السلطانية بهمذان فلما وصل وسمع جوابه علم انه جواب مغالطة ومدافعة فحينئذ وقع الشروع فى قصد بغداد وبث العساكر اليها فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو الى تكريت ليعبروا من هناك الى الجانب الغربى ويقصدوا بغداد من غربيها ويقصدها العسكر السلطانى من شرقيها فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر الى أعمال بغداد اجفل الناس من دجيل والاسحاقى ونهر ملك ونهر عيسى ودخلوا الى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى كان

الرجل أو المرأة يقذف بنفسه فى الماء وكان الملاح اذا عبر أحدا
فى سفينة من جانب الى جانب يأخذ أجرته سوارا من ذهب او طرازا
من زركش أو عدة من الدنانير فلما وصل العسكر السلطانى الى
دجيل وهو يزيد على ثلاثين ألف فارس خرج اليه عسكر الخليفة
صحبة مقدم الجيوش مجاهد الدين ايبك الدويدار وكان عسكرا
فى غاية القلة فالتقوا بالجانب الغربى من بغداد قريبا من البلد
فكانت الغلبة فى أول الامر لعسكر الخليفة ثم كانت الكرة
للعسكر السلطانى فأبادوهم قتلا وأسرا وأعانهم على ذلك نهر فتحوه
فى طول الليل فكثرت الوحول فى طريق المنهزمين فلم ينج منهم الا من
رمى نفسه فى الماء أو من دخل البرية ومضى على وجهه الى الشام
ونجا الدويدار فى جمعية من عسكره ووصل الى بغداد وساق بأجمعهم
حتى دخل البلد من جانبه الغربى ووقف بعساكره محاذى التاج
وجاست عساكره خلال الديار وأقام محاذى التاج أياما وأما حال
العسكر السلطانى فانه فى يوم الخميس رابع محرم من سنة ست
وخمسين وستمائة ثارت غبرة عظيمة شرقى بغداد على درب يعقوب
بحيث عمت البلد فانزعج الناس من ذلك وصعدوا الى أعالى
السطوح والمناير يتشوفون فانكشفت الغبرة عن عساكر
السلطان وخيوله ولفيفه وكراعه وقد طبق وجه الارض وأحاط
ببغداد من جميع جهاتها ثم شرعوا فى استعمال أسباب الحصار
وشرع العسكر الخليفى فى المدافعة والمقاومة الى يوم تاسع عشرى
محرم فلم يشعر الناس الا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من
برج يسمى برج العجمى من ناحية باب من أبواب بغداد يقال له باب

كلواذى وكان هذا البرج اقصر ابراج السور وتقحم العسكر السلطانى هجوما ودخولا فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظن بتفاصيله وكان ما كان مما لست أذكره

* فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر * وأمر السلطان بخروج الخليفة وولده ونسائه اليه فخرجوا فأحضر الخليفة بين يدى الدركاه فقال انه عوتب ووبخ بما معناه نسبة العجز والتفريط والغفول اليه ثم أوصل الى الباساو ولداه الاكبر والاوسط وأما بناته فأسرن ثم استشهد المستعصم فى رابع صفر سنة ست وخمسين وستمائة انتهى ذكر خلافة المستعصم بالله

(فصل فى الحقوق الواجبة للملك على رعيته) وهو منقول من الفصل الاول من كتاب تاريخ الدول للفخر الرازى يتكلم فيه على الامور السلطانية والسياسات الملكية وخواص الملك التى يتميز بها عن السوقة والتى تجب ان تكون موجودة أو معدومة فيه وما يجب له على رعيته وما يجب لهم عليه * اعلم ان للملك على رعيته حقوقا وان لهم عليه حقوقا فاما الحقوق التى تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة وهى الاصل الذى ينتظم به صلاح الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القوى والقسمة بالحق ومما جاء فى التنزيل من الحث على ذلك وهى الآية المشهورة فى هذا المعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ومن أمثالهم لا امرة لمن لا يطاع ولم ينقل فى تاريخ ولا تضمنت سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت من طاعة

جندها

جندها ورعاياها مارزقته هذه الدولة القاهرة المغولية فان طاعة
جندها ورعاياها لها طاعة لم ترزقها دولة من الدول * فاما الدولة
الكسروية فانها على عظمها وفخامتها لم تبلغ ذلك وقد كان
النعمان بن المنذر ملك الحيرة نائب الكسرى على العرب وبين الحيرة
والمدائن التى كانت سرير ملك الاكاسرة فراسخ معدودة وكان
النعمان يعصى على كسرى فى كل مدة من الايام واذا حضر مجلسه
تبسط وتجرأ على محاورته وكان متى أراد خلع طاعته دخل البرية
فامن شره وأما الدول الاسلامية فلا نسبة لها الى هذه الدولة حتى
تذكر معها اما خلافة الاربعة الاولين وهم أبو بكر الصديق وعمر
ابن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم وعلى بن أبى طالب عليه
السلام فانها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية
فى جميع الاشياء كان أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ
وفى رجله نعلان من ليف وحمائل سيفه ليف ويمشى فى الاسواق
كبعض الرعية واذا كلم أدنى الرعية أسمعه أغلظ من كلامه
وكانوا يعدون هذا من الدين الذى بعث به النبى صلوات الله عليه
وسلامه قيل ان عمر بن الخطاب جاءته برود من اليمن ففرقها على
المسلمين فحصل نصيب كل رجل من المسلمين برد واحد ثم حصل نصيب
عمر كنصيب واحد من المسلمين قيل ففصله عمر ثم لبسه وصعد المنبر
وأمر الناس بالجهاد فقام اليه رجل من المسلمين وقال لا سمع
ولا طاعة قال لم ذلك قال لانك استأثرت علينا قال عمر بأى شئ
استأثرت قال أن الابراد اليمنية لما فرقتها حصل لكل واحد من
المسلمين برد منها وكذلك حصل لك والبرد الواحد لا يكفيك ثوبا

وزاد ثم فصلته قميصا تاما وأنت رجل طويل فلو لم تكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قميص فالتفت عمر الى ابنه عبد الله وقال يا عبد الله أجبه عن كلامه فقام عبد الله بن عمر وقال ان أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردي ما تممه به فقال الرجل اما الآن فالسمع والطاعة وهذه السيرة من طرز ملوك الدنيا وهي بالنبوات والامور الاخروية أشبه وأما خلافة بني أمية فكانت قد عظمت وتفخم أمرها وعرضت مملكتها ولكن طاعتها لم تكن كطاعة هؤلاء كان بنو أمية في الشام وكان بنو هاشم بالمدينة لا يلتفتون اليهم واذا دخل الرجل الهاشمي على الخليفة من بني أمية أسمعه غليظ الكلام وقال له كل قول * وأما الدولة العباسية فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه الدولة مع أن مدتها طالت حتى تجاوزت خمسمائة سنة ومملكتها عرضت حتى ان بعضهم جبى معظم الدنيا وستقع الاشارة الى ذلك عند الكلام على دولة بني العباس وحاصل الدنيا في أيام الرشيد في حسبة جامعة تشتمل عليها وكتب التواريخ تدل على ذلك فأما أوائلهم فجبوا شطرا صالحا من الدنيا وقويت شوكتهم كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتضد والمتوكل ومع ذلك فلم تكن دولتهم تخلو من ضعف ووهن من عدة جهات منها امتناع الروم عليهم وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى في كل سنة على ساق ومع ذلك فكانت جبايتها تستصعب عليهم وملوكها لا يزالون على الامتناع منهم وقد كان من أمر المعتصم وعمورية ما بلغك ولعلك تعرفه منه بلغك في هذا الكتاب عند الكلام في الدولة

العباسية

العباسية ومن أسباب الوهن الواقع فى دولتهم خروج الخوارج فى كل وقت فاما المنصور فلم يشرب بريقها حتى خرج عليه النفس الزكية محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام بالحجاز فجرت بينه وبينه حروب أفضت الى ارسال عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الى الحجاز لمحاربة النفس الزكية فقتله بموضع قريب من المدينة يقال له أحجار الزيت وذلك فى سنة مائة وخمسة وأربعين ولذلك سمى النفس الزكية قتيل احجار الزيت وخرج عليه أخو النفس الزكية وهو ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فقلق المنصور لذلك غاية القلق وقام وقعد حتى توجه اليه عيسى بن موسى فقتله بقرية قريبة من الكوفة يقال لها باخمرى فهو يعرف بقتيل باخمرى رحمه الله ومن ههنا حقد المنصور على العلويين وفعل بهم تلك الافاعيل ولعل طرفا منها يبلغك فى هذا الكتاب اذا انتهيت الى الكلام على الدولة العباسية وكذلك جرى أمر الخوارج مع خليفة خليفة حتى كانت الرعية لا ينامون فى بيوتهم آمنين ولا يزالون يتوقعون الفتنة والحرب كما كان أهل قزوين فى مجاورة قلاع الملاحدة * حدثنى الملك امام الدين يحيى بن الافتخارى رحمه الله قال اذكر ونحن بقزوين اذا جاء الليل جعلنا جميع ما لنا من أثاث وقماش ورحل فى سراديب لنا فى دورنا غامضة خفية ولا نترك على وجه الارض شيأ خوفا من اكتساب الملاحدة فاذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ولاجل ذلك كثر حمل القزاونة للسكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال الملاحدة على ذلك حتى كان من أمر

شمس الدين قاضى قزوين وتوجهه الى قاآن واحضار العسكر وتخريب قلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضع موضع استيفاء الكلام فى هذا فانه اعترض وليس بمقصود وكما جرى للموفق بن المتوكل فى مرابطة الزنج أربع عشرة سنة ما زال يصابرهم من البصرة وواسط طول هذه المدة حتى أفناهم وكان لطول المدة قد ابتنى الزنج هنالك مدائن وابتنى الموفق أيضا هنالك مدائن ثم خربت وآثارها الآن باقية وأما أواخرهم أعنى أواخر خلفاء بنى العباس فضعفوا غاية الضعف حتى عصت تكريت عليهم وفى ذلك يقول شاعرهم

في العسكر المنصور نحن عصابة * من دولة أخسس بنا من معشر
خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى * من خسة ورقاعة وتهور
تكريت تعجزنا ونحن بعقلنا * نمضى لنأخذ ترمذا من سنجر

وكانوا أعنى المتأخرين من خلفاء بنى العباس قد اقتصروا فى آخر الامر على مملكة العراق فحسب حتى ان اربل لم تكن فى حكمهم وما زالت خارجة عن حكمهم الى أن مات مظفر الدين بن زين الدين على كوجك صاحب اربل وذلك فى أيام المستنصر فعين على اقبال الشرابى وكان مقدم الجيوش ليتوجه الى اربل لفتحها وجهزه بالعساكر فتوجه الشرابى اليها وأقام عليها أياما محاصرا ثم فتحها فضربت البشائر ببغداذ يوم وصول الطائر بفتحها فانظر الى دولة تضرب البشائر على أبواب صاحبها وتزين البلد لاجل فتح قلعة اربل التى هى اليوم فى هذه الدولة من أحقر الاعمال وأصغرها وأهونها بل قد كان ملوك الاطراف مثل ملوك الشام ومصر

وصاحب

وصاحب الموصل يحملون اليهم فى كل سنة شيأ على سبيل الهدية والمصانعة ويطلبون منهم تقليدا لولاية بلادهم بحيث يتسلطون بذلك على رعيتهم ويوجبون عليهم طاعتهم بذلك السبب ولعل الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الاطراف عن هداياهم بما يناسبها أو يفضل عنها كل ذلك لحفظ الناموس الظاهر وليكون لهم فى البلاد والاطراف السكة والخطبة حتى صار يضرب به المثل لمن له ظاهر الامر وليس له من باطنه شئ أن يقال قنع فلان من الامر الفلانى بالسكة والخطبة يعنى قنع منه بالاسم دون الحقيقة فهذه جمل من أحوال الدولة العباسية * وأما الدولتان البويهية والسلجوقية فلم تعرض لمملكتهما مع قوة شوكة ملوكهما كعضد الدولة فى بنى بويه وطغرلبك فى بنى سلجوق ولم تعم طاعتهما ولم تشمل ملكهما وأما الدولة الخوارزمشاهية فلم يعرض لملكها أيضا ولا تجاوز النواحى القريبة منها مع ان جريدة السلطان جلال الدين اشتملت على أربعمائة ألف مقاتل بلى جلال الدين غزا اطراف الهند انتهى ما نقلته من كتاب تاريخ الدول للفخر الرازى

(من كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى)

(ذكر خلافة الحاكم بأمر الله)

الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة فى الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون

درجة وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء
ثامن وعشرين شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار الى
القاهرة فى يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقة
بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمتة وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح
وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شئ ودخل
القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ثم
بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير
من ذهب عليه مرتبة مذهبة فى الايوان الكبير وخرج من قصره
راكبا وعليه عمامة الجوهر والناس وقوف فى صحن الايوان فقبلوا له
الارض ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير فوقف من رسمه
الوقوف وجلس من له عادة ان يجلس وسلم الجميع عليه بالإمامة
واللقب الذى اختير له وهو الحاكم بامر الله وكان سنه يومئذ احدى
عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار
الكتامى واسطة ولقبه بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل
ورد الى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن
سورين وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان
ابن جعفر بن فلاح الشام فخرج منجوتكين بدمشق وسار منها
لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم اليه ابن
الجراح الطائى فى كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر
وحمل الى القاهرة فأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت
حروب آلت الى صرفه عن الوساطة وله فى النظر احدى عشرة سنة
غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشى

برجوان الصقلي مكانه في الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسمعيل الكتامي مدينة صور وقلد يانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس ويمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم على فامية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى ان دخل مرعش وقلد وظيفة قاضي القضاة أبا عبد الله بن الحسين بن علي بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين بعد موت قاضي القضاة محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله في النظر سنتان وثمانية أشهر غير يوم واحد ورد النظر في أمور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد فخلفه الرئيس فهد واتخذ الحاكم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركته الى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصيته وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لامير المؤمنين الحاكم بامر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك جميعه نحو المائتي ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب فسلم وقع بجميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده الى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولى دمشق فحل بن تميم ومات

بعده شهور وتولى علي بن فلاح ورد النظر في المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد ومكاتبته بسيدنا ومولانا الا أمير المؤمنين وحده وأبيح دم من خالف ذلك وفي شوال قتل ابن عمار * وفي سنة احدى وتسعين واصل الحاكم الركوب في الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس في الوقود والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة على المآكل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج بالليل ثم منع الرجال من الجلوس في الحوانيت * وفي رمضان سنة اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابتدأ في عمارة جامع راشدة في سنة ثلاث وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوما في ثامن جمادى الآخرة منها وأقيم في مكانه علي بن عمر العداس وسار الامير بار وخ لامارة طرابلس ووقع الشروع في اتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت متولي دمشق وتولى بعده مفلح اللحياني الخادم وقتل علي بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلي وعدة كثيرة من الناس وقلد امارة برقة صندل الاسود في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن علي بن النعمان عن القضاء في رمضان منها وكانت مدة نظره في القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له قاضي القضاة وداعي الدعاة وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة على ما بيده من النظر في المظالم * وفي سنة خمس

وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنانير ولبس الغيار ومنع الناس
من أكل الملوخيا والجرجير والمتوكلية والدلينس وذبح الأبقار
السليمة من العاهة إلا في أيام الأضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله
البتة وأن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر وأن لا تكشف امرأة وجهها
في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير
قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس في ذلك كله
وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمر به ونهى عنه
مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة من أهل البحيرة وكتب
على أبواب المساجد وعلى الجامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت
والحجر والمقابر سب السلف ولعنهم وأكره الناس على نقش ذلك
وكتابته بالأصباغ في سائر المواضع وأقبل الناس من سائر النواحي
فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الأسبوع وكثر الازدحام
على ذلك ومات فيه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب
في الطرقات وأن لا يظهر أحد بها لبيع ولا شراء فخلت الطرق من
المارة وكسرت أواني الخمور وأريقت من سائر الأماكن واشتد
خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع
كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو
فكتبت عدة أمانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من
الباعة والرعية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا يحصى حتى
فقدت وفتحت دار الحكمة بالقاهرة وحمل إليها الكتب ودخل
إليها الناس واشتد الطلب على الركابية المستخدمين في الركاب
وقتل منهم كثيرا ثم عفا عنهم وكتب لهم أمانات ومنع الناس كافة

سن الدخول من باب القاهرة وهم ركاب ومنع المكارين أن يدخلوا
بحميرهم الى القاهرة ومنع الناس من المشي ملاصق القصر وقتل
قاضي القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عدد من
الناس كثير ضرب أعناقهم * وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة
يدعو الى نفسه وادعى انه من بني أمية فقام بامره بنو قرة لكثرة
ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه واستجاب له لواتة ومزاتة وزناتة وأخذ
برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد
فضل بن صالح في ربيع الاول وواقعه فانهزم منه فضل واشتد
الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي
ركوة ونزلت العساكر بالجيزة وسار أبو ركوة فواقعه القائد فضل
وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس
فباتوا في الشوارع خوفا من هجوم عساكر أبي ركوة واستمرت
الحروب فانهزم أبو ركوة في ثالث ذي الحجة على الفيوم وتبعه
القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة ستة آلاف رأس ومائة أسير
الى ان قبض عليه في بلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بها
وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله في الاعمال * وفي سنة
سبع وتسعين أمر بمحو سب السلف فمحي سائر ما كتب من ذلك
وغلت الاسعار لنقص ماء النيل فانه بلغ ستة عشر اصبعا من سبعة
عشر ذراعا ثم نقص ومات منجوتكين في ذي الحجة * واشتد الغلاء في سنة
ثمان وتسعين وولي علي بن فلاح دمشق وقبض جميع ما هو حبس
على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب
الجامع بمصر وكتب الى سائر الاعمال بذلك * وفي سادس عشر رجب

قرر مالك بن سعيد الفارقى فى وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التى تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر فى شعبان وقرر مكانه صالح بن على الروذبارى وقرر فى ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلى الكاتب وأمر حسين ابن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعد أيام وأمرا بالركوب وتوقفت زيادة النيل واستسقى الناس مرتين وأمر بابطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته وفتح الخليج رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء * وفى تاسع محرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فمنع الناس كافة من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الى الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ما داخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض فى الناس والموت * ولما كان فى رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخمس للذين جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون ويخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف

والطائف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده * ولقب صالح بن علي الروذباري بثقة ثقات السيف والقلم وأعيد القاضي عبد العزيز بن النعمان الى النظر في المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التي رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب ما فيها وقتل كثير من الخدام والكتاب ومن الصقالبة بعد ما قطعت أيدي بعضهم من الكتاب بالساطور على خشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح في ذي القعدة * وفي حادي عشر صفر صرف صالح بن علي الروذباري وقرر مكانه ابن عبدون النصراني الكاتب ولقب بالكافي فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة القمامة وجدد ديوانا يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلينس وترمس وضربوا وهدم دار القصر واشتد الامر على النصارى واليهود في الزامهم لبس الغيار وكتب بابطال الخمس والنجاوى والفطرة وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربي وكتبت عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن علي الروذباري في شوال * وفي رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب في الوساطة

والسفارة

والسفارة وحضر حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضرب عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصرانى ولقب بالشافى ومنع الناس من ركوب المراكب فى الخليج وسدت أبواب الدور التى على الخليج والطاقات وأضيف الى قاضى القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى وقتل ابن عبدون وقبض ماله وضرب جماعة وشهروا من أجل بيعهم الملوخيا والسمك الذى لاقشر له وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان فى ثانى عشر جمادى الآخرة فى سنة احدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وابطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصحراء * وفى هذه السنة خلع حسان ابن مفرج ابن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتوح حسين ابن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وبايعه ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكوتب بالمنع من حمله وألقى فى بحر النيل منه شئ كثير وأحرق منه كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم ير فى الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من عصيره وطرح كثير منه وديس فى الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفى سنة ثلاث وأربعمائة غلا السعر وازدحم الناس على الخبز

﴿وفي ثاني ربيع الاول منها هلك عيسى بن نسطورس فامر النصارى
بلبس السواد وتعليق الصلبان الخشب في أعناقهم وان يكون
الصليب ذراعا في مثله وزنته خمسة ارطال وان يكون مكشوفا
بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم
البغال والحمير بالسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وان
يشدوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة
وتتبعت آثارهم في ذلك فاسلم منهم عدة وقرر حسين بن طاهر
الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشري ربيع
الاول منها ولقب بأمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله
العظيم الولي ينتصر الامام أبو علي وضرب جماعة بسبب اللعب
بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع
وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها الحق أبوا الفتوح بمكة
ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم ان لا يقبل أحد له
الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان
الانحناء الى الارض لمخلوق من صنع الروم وأن لا يزاد على قولهم
السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ولا يصلي عليه أحد في
مكاتبته ولا مخاطبته ويقتصر في مكاتبته على سلام الله وتحياته
ونوامي بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء فقط
لا غير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى
وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى اللهم وسلم على أمراء المؤمنين
آباء أمير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك
ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا يطوفون

بغير

بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين
ابن طاهر الوزان فى امضائها فكتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة
الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لا أرجو ولا أتقى * الا الهى وله الفضل
جدى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

المال مال الله والخلق عباد الله ونحن أمناؤه فى الارض أطلق
أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * وركب الحاكم فى يوم عيد الفطر
الى المصلى بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد
بسروج ولجم محلاة بفضة خفيفة وبنود ساذجة ومظلة بيضاء بغير
ذهب وعليه بياض بغير طراز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته ولم
يفرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب فى ذلك وشهر
وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة الفطر من غير أبهة ونحر عنه
عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن المهدى وكثر الحاكم من الركوب الى
الصحراء بحذاء فى رجليه وفوطة على رأسه * وفى سنة أربع
وأربعمائة الزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس اذا دخلوا الى
الحمام وان يكون فى عنق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام
فى النجوم وأقيم المنجمون من الطرقات وطلبوا فتغيبوا ونفوا
وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعتقه وأمر اليهود والنصارى
بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس
ولى العهد وأمر أن يقال فى السلام عليه السلام على ابن عم أمير
المؤمنين وولى عهد المسلمين وصار يجلس بمكان فى القصر وصار
الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفى رجله حذاء

عربى بقيا الز وعبد الرحيم يتولى النظر فى أمور الدولة كلها وأفرط
الحاكم فى العطاء وردما كان أخذ من الضياع والاملاك لاربابها
*وفى ربيع الاول أمر بقطع يدى أبى القاسم الجرجرانى وكان يكتب
للقائد عين ثم قطعت يد عين فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم
بعد قطع يديه بآلاف من الذهب والثياب ثم بعد ذلك أمر بقطع
لسانه فقطع وأبطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها وأكثر من
الركوب فى الليل ومنع النساء من المشى فى الطرقات فلم تر امرأة فى
طريق البتة وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمل أخفافهن
وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف فى الناس
فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يبع شئ ودعى لعبد الرحيم بن الياس
على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد *وفى سنة خمس
وأربعمائة قتل مالك بن سعيد الفارقى فى ربيع الآخر وكانت مدة
نظره فى قضاء القضاة ست سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وبلغ
اقطاعه فى السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب الحاكم حتى
كان يركب فى كل يوم عدة مرار واشترى الحمير وركبها بدل الخيل
وفى جمادى الآخرة منها قتل الحسين بن طاهر الوزان فكانت مدة
نظره فى الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب
الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية
مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبى السعيد الكاتب
وأخاه أبا عبد الله الحسين فى الوساطة والسفارة وأقر فى وظيفة قضاء
القضاة أحمد بن محمد بن أبى العوام وخرج الحاكم عن الحد فى العطاء
حتى أقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبنى قرة فيما أقطع

الاسكندرية والبحيرة ونواحيهما ثم قتل ابنى أبى السيد وكانت مدة
نظرهما اثنتين وستين يوما وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات
ثم قتله فى اليوم الخامس من ولايته وغلب بنو قرة على الاسكندرية
واعمالها وأكثر الحاكم من الركوب فركب فى يوم ست مرات مرة
على فرس ومرة على حمار ومرة فى محفة تحمل على الاعناق ومرة
فى عشارى فى النيل بغير عمامة وأكثر من اقطاع الجند والعبيد
الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن على بن جعفر
ابن فلاح فى الوساطة والسفارة وولى عبد الرحيم بن الياس دمشق
فسار اليها فى جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فاقام بها شهرين
ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه فى صندوق
وحملوه الى مصر ثم أعيد الى دمشق فاقام بها الى ليلة عيد الفطر
وأخرج منها فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة احدى عشرة
وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان
عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وكانت مدة خلافته خمسا
وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا قتل عددا لا يحصون
وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام
وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر فى النجوم
وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال
انه كان يعتريه جفاف فى دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن
ما قال فيه بعضهم كانت أفعاله لا تعلل وأحلام وساوسه لا تؤول
وقال المسبحى وفى محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل
من بنى حسين ثار بالصعيد الاعلى فاقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله فى

جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له لم قتلته فقال غيرة لله وللاسلام فقيل كيف قتلته فاخرج سكينا ضرب بها فؤاده وقتل نفسه وقال هكذا اقتلته فقطع رأسه وأنفذ به الى الحضرة مع ما وجد معه وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم لا ما يحكيه المشارقة في كتبهم من ان أخته قتلته والله أعلم انتهى ذكر خلافة الحاكم بامر الله

(ذكر أرض الطبالة)

هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس كانت من أحسن منتزهات القاهرة يمر النيل الاعظم من غربيها عندما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى ان ينتهي الى الموضع الذي يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصري بالقرب من بركة الرطلي ويمر من الجرف الى غربي البعل فتصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الاعظم ومن شرقيها الخليج ومن قبليها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسي ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمسة وجوه وقبة الهواء وكانت رؤية هذه الارض شيأ عجيبا في أيام الربيع وفيها يقول سيف الدين علي بن قزل المشد

الى طبالة يعزون أرضا * لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بها سطورا * وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلى * يزين وجهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لان الامير أبا الحرث أرسلان البساسيري لما غاضب الخليفة القائم بامر الله العباسي وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازوري حتى استولى على بغداد وأخذ قصر الخلافة وأزال دولة بني العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هناك وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذي كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة في سنة خمسين وأربعمائة ولما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سرورا كثيرا وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نشب طبالة المستنصر وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والاعياد وتسير امام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل وتنشد فانشدت وهي واقفة تحت القصر

يا بني العباس ردوا * ملك الامر معد
ملككم ملك معار * والعواري تسترد

فاعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمني فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فاقطعها هذه الارض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نشب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنشب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفة بارض الطبالة وحكرت وبنيت دورا وبيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم ان أرض الطبالة خربت في سنة ست

وتسعين وستمائة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبغا حتى لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خرابا الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة فشرع الناس في سكناها قليلا قليلا الى ان حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمهندسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التي تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرطلي ذروابه من هنالك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الامير بكتمر المذكور هنالك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب وبين الخليج الناصري وأذن للناس في تحكيره فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الاكراد وحارة البزادرة وحارة القناصين وغير ذلك وبقي فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام فيها الجمعة وأقبل الناس على التنزه بها أيام النيل والربيع وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة وما برحت على غاية من العمارة الى ان حدث الغلاء في سنة سبع وسبعين وسبعمائة أيام الاشرف شعبان بن حسين فخرب كثير من الحارات بارض الطبالة وبقيت منها بقية الى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيمانا وبقي فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع

الارض يعمل فيها بمعاصي الله وتعرف بيبع الحشيشة التي يتناولها أراذل الناس وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة في وقتنا هذا فشوا زائدا وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعدما أدركناها تعد من أرذل الخبائث وأقبح القاذورات وما شئ في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها ولاشتهارها في وقتنا هذا عند العام والخاص بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها

(ذكر حشيشة الفقراء)

قال الحسن بن محمد في كتاب السوانح الادبية في مدائح القنبية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تستر في سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب في الوقوف على هذا العقار ووصوله الى الفقراء خاصة وتعديه الى العوام عامة فذكر لي ان شيخه شيخ الشيوخ حيدرا كان كثير الرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق في الزهادة وبرز في العبادة وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ومقامه بجبل بين نشاور وراماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء وانقطع في موضع منها ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منه ولا يدخل عليه أحد غيري للقيام بخدمته قال ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر وقت القائلة منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كنا نعهده من حاله قبل وأذن لاصحابه في الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعدما اقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة سألناه عن سبب ذلك

فقال بينما أنا في خلوتي اذ خطر بخاطري الخروج الى الصحراء
منفردا فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ساكنا لا يتحرك لعدم
الريح وشدة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته في تلك الحال يميس
بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت أقطف منه
أوراقا وآكلها فحدث عندي من الارتياح ما شاهدتموه وقوموا
بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكله قال فخرجنا الى الصحراء
فأوقفنا على النبات فلما رأيناه قلنا له هذا نبات يقال له القنب فأمرنا
أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا
في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانه فلما رآنا الشيخ على
الحالة التي وصفنا أمرنا بصيانة سر هذا العقار وأخذ علينا الايمان
ان لا نعلم به عوام الناس وأوصانا ان لا نخفيه عن الفقراء وقال ان
الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم
الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم
وراعوه فيما استرعا ثم قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ
حيدر بعد أن وقفنا على هذا السر في حياته وأمرني بزرعها حول
ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا
في خدمته لم أره يقطع أكلها في كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء
وأكل هذه الحشيشة وتوفي الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته
في الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة واتته النذور الوافرة من
أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا أصحابه وكان
قد أوصى أصحابه عند وفاته ان يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءها
على هذا العقار وسره فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعة وذائعة

ميلاد

ببلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف أكلها أهل العراق
حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من
ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس فى أيام المستنصر بالله وذلك
فى سنة ثمان وعشرين وستمائة فجلبها أصحابهما معهم وأظهروا
للناس أكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى أهل الشام ومصر
والروم فاستعملوها * قال وفى هذه السنة ظهرت الدراهم ببغداذ
وكان الناس ينفقون القراضة وقد نسب اظهار الحشيشة الى
الشيخ حيدر الاديب محمد بن على بن الاعمى الدمشقى فى ابيات له

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبى من الترك أغيد * يميس على غصن من البان أملد
فتحسبها فى كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها أدنى نسيم تنسمت * فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على أغصانها الورق فى الضحى
فيطربها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس فى الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
هى البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يوما بكاسها * ولا قربوا من دنها كل ملحد
ولا نص فى تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد المشرفى المهند
وكف أكف الهم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور الى غد

وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب أحمد بن محمد بن
الرسام الحلبى فى قوله هذه الابيات

ومهفهف بادي النفار عهدته * لا أنثنيه قط غير معبس
فرأيته بعض الليالي ضاحكا * سهل العريكة ريضا في المجلس
فقضيت منه ما تمنى وشكرته * انصار من بعد التنافر مؤنسي
فأجابني لا تشكرن خلائقي * واشكر شفيعك فهو خمر المفلس
فحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين ببسطها للانفس
واذا هممت بصيد ظبي نافر * فاجهد بان يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر اذ أظهروا * لذوي الخلاعة مذهب المتخمس
ودع المعالي للسرور وخلني * من حسن ظن الناس بالمتغمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي القلندري أن الشيخ حيدرا لم يأكل الحشيشه في عمره البتة وانما عامة أهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار أصحابه بها وان اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان بالهند شيخ يسمى بيرزطن هو أول من أظهر لاهل الهند أكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع أمرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى أهل العراق والروم والشام ومصر في السنة التي قدمت ذكرها قال وكان بيرزطن في زمان الاكاسرة وأدرك الاسلام وأسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند علي بن مكي في أبيات أنشدنيها من لفظه وهي

الا فاكفف الاحزان عني مع الضر
بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
تجلت لنا لما تجلت بسندس * يجل عن التشبيه في النظم والنثر
بنت الا بهار نورا بحسنها * فأخجل نور الروض والزهر بالزهر

عروس يسر النفس مكنون سرها

وتصبح في كل الحواس اذا تسرى

فللذوق منها طعم الشهد رائقا * وللشم منها فائق المسك بالنشر

وفي لونها للطرف أحسن نزهة * يميل الى رؤيا من سائر الزهر

تركب من قان وأبيض فانثنت * تتيه على الازهار عالية القدر

فيكسف نور الشمس حمرة لونها * وتخجل من مبيضه طلعة البدر

علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر

فبدت فابدت ما اجن من الهوى * وجاءت فولت جند همي والفكر

جميلة أوصاف جليلة رتبة * تغالت فغالى في مدائحها شعري

فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا

بهندية أمضى من البيض والسمر

بهندية في أصل اظهار أكلها * الى الناس لاهندية اللون كالسمر

تزيل لهيب الهم عنا بأكلها * وتهدي لنا الافراح في السر والجهر

قال وأنا أقول انه قديم معروف منذ أوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك مانقله الاطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره قال ابن جزلة في كتاب منهاج البيان القنب الذي هو ورق الشهدانج منه بستاني ومنه بري والبستاني أجوده وهو حار يابس في الدرجة الثالثة وقيل حرارته في الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس في الدرجة الاولى والبري منه حار يابس في الدرجة الرابعة قال ويسمى بالكف أنشدني تقي الدين الموصلي

كف كف الهموم بالكف فالكف شفاء للعاشق المهموم

بابنة القنب الكريمة لا بابنة كرم بعدا لبنت الكروم.
قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع ما يجدون من اللذة تجفيفا
للمنى وفى ابطاله قطع لشهوة الجماع كيلا تميل نفوسهم الى ما يوقع
فى الزنا وقال بعض الاطباء ينبغى لمن يأكل الشهدانج أو ورقه ان
يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل أو الخشخاش
ويشرب بعده السكنجبين ليدفع ضرره واذا قلى كان أقل لضرره
ولذلك جرت العادة قبل أكله ان يقلى واذا أكل غير مقلى كان كثير
الضرر وأمزجة الناس تختلف فى أكله فمنهم من لا يقدر أن يأكله
مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل أو غيره من
الحلاوات وقرأت فى بعض الكتب ان جالينوس قال انها تبرئ من
التخمة وهى جيدة للهضم *وذكر ابن جزلة فى كتاب المنهاج ان بذر
شجرة القنب البستانى هو الشهدانج وثمره يشبه حب السمنة وهو
حب يعصر منه الدهن وحكى عن حنين بن اسحق أن شجرة البرى
تخرج فى القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه
البياض وقال يحيى بن ماسويه فى كتاب تدبير ابدان الاصحاء ان من
غلب على بدنه البلغم ينبغى ان تكون اغذيته مسخنة مجففة
كالزبيب والشهدانج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان
الشهدانج يدر البول وهو عسر الانهضام ردىء الخلط للمعدة قال
ولم أجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من
خواصها ان كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها
هربت ورأيت ان الانسان اذا أكلها ووجد فعلها فى نفسه
وأحب ان يفارقه فعلها قطر فى منخريه شيأ من الزيت أو أكل

من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة
فى الماء الجارى والنوم يبطله (قال مؤلفه رحمه الله تعالى) دع
ترّهات القوم فما بلى الناس بافسد من هذه الشجرة لاخلاقهم
ولقد حدثنى القاضى الرئيس تاج الدين اسمعيل بن عبد الوهاب بن
الخطباء المخزومى قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس
انه سئل عن هذه الحشيشة فقال اختبرتها فوجدتها تورث السفالة
والرذالة ولذلك جربنا فى طول عمرنا من عاناها فانه ينحط فى سائر
اخلاقه الى مقدار لا يكاد أن يبقى له من الانسانية شئ البتة وقد قال
ابن البيطار فى كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب
الهندى ولم أره بغير مصر ويزرع فى البساتين ويسمى بالحشيشة
عندهم أيضا وهو يسكر جدا اذا تناول منه انسان قدر درهم
أو درهمين حتى ان من أكثر منه يخرجه الى حد الرعونة وقد
استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما
قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على انحاء شتى فمنهم من يطبخ
الورق طبخا بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمله
اقراصا ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به
قليل سمسم مقشور وسكر ويسفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه
ويفرحون كثيرا وربما أسكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريبا
منه وهذا ما شاهدته من فعلها واذا خيف من الاكثار منه فليبادر
الى القئ بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة وشراب الحماض لهم
فى غاية النفع فانظر كلام العارف فيها واحذر من افساد بشريتك
وتلاف اخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها

الا أراذل الناس ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها المنافيها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشيخونى الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكر واصل ببولاق وأتلف ماهنالك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يتعاطاها من اطراف الناس ورذلائهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع اضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة ومابرحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداذ أحمد بن أويس فارا من تيمورلنك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فتظاهر أصحابه بأكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر من القاهرة الى بغداذ وخرج منها ثانيا وأقام بدمشق مدة فتعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللفاح ونحوه وسماها العقدة وباعها خفية فغشا أكلها فى كثير من الناس مدة أعوام فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة واشتهر أكلها وظهر أمرها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدا المسخ فى الشمائل والاخلاق المنذر بالظهور

على

على الصور والذوات عافانا الله من بلائه وأرض الطبالة الآن بيدورثة الحاجب انتهى ذكر أرض الطبالة وحشيشة الفقراء

(ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم)

قد كانت اليهود تؤرخ أولا بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر بن فيلبش وشهور سنتهم اثناعشر شهرا وأيام السنه ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما فأما الشهور فانها تشرى مرحشوان كسليو طيبت شبط آذار نيسن ايار سيوان تموز آب ايلول وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيأ واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الى التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية وائتمروا بما أمروا به كما وصف فى السفر الثانى من التوراة اتفق ذلك ليلة الخامس عشر من نيسن والقمر تام الضوء والزمن ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال فى السفر الثانى من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلوفكم الى الدهر فى أربعة عشر من الشهر الاول وليس يعنى بالشهر الاول هذا الشهر تشرى ولكنه عنى به شهر نيسن من أجل انهم أمروا ان يكون شهر الناسخ رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذى خرجتم فيه من التعبد فلا تأكلوا خميرا فى هذا اليوم فى الشهر الذى ينضر فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر

من نيسن فى أوان الربيع حين تورق الاشجار وتزهر الثمار والى استعمال القمر سنة ليكون بجرمه فيه بدرا تام الضوء فى برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التى يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور واذا استوفيت أيام شهر واحد فالحقوها بها شهرا واحدا تاما سموه آذار الاول وسموا اذار الاصلى اذار الثانى لانه ردف سموه وتلاه وسموا السنة المكبيسة عبورا اشتقاقا من عبار وهو المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد فى السنة بحمل المرأة ما ليس من جملها ولهم فى استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة فى الازياج وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين احداهما الربانية واستعمالهم اياها على وجه الحساب بمسيرى الشمس والقمر الوسط سواء رؤى الهلال أم لم ير فان الاشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر فى كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل الى بيت المقدس ينصبون على رؤس الجبال ربادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال وألزموهم بايقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية وكان بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم وواولوا بين ذلك شهورا اتفق فى أوائلها ان السماء كانت متغيمة حتى فطن لذلك من فى بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فعرفوا ان السامرة فتنتهم فالتجؤا الى أصحاب التعاليم فى ذلك الزمن ليأمنوا عما يلقونه من حسابهم مكايد الاعداء واعتاوا

بجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها
فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلموهم استخراج الاجتماعات
ورؤية الهلال وأنكر بعض الربانية حديث الرقباء ورفعهم
الدخان وزعم ان سبب استخراج هذا الحساب هو ان علماءهم علموا
ان آخر أمرهم الى الشتات نخافوا اذا تفرقوا فى الاقطار وعولوا
على الرؤية ان تختلف عليهم فى البلدان المختلفة فيتشاجروا ولذلك
استخرجوا هذه الحسابات واعتنى بها المعازر بن فروح وأمروهم
بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا والفرقة الثانية هم الميلادية
الذين يعملون مبادى الشهور من الاجتماع ويسمون القراء
والاشمعية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى
النظر والقياس ولم يزالوا على ذلك الى أن قدم عانان رأس الجالوت
من بلاد المشرق فى نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام
بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الاهلة على مثل ما شرع
فى الاسلام ولم يبال أى يوم وقع فى الاسبوع وترك حساب الربانيين
وكبس الشهور بان نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحى العراق
والشام فيما بين أول شهر نيسن الى أن يمضى منه أربعة عشر يوما فان
وجدها كورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة وان وجدها
لم تصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدمت المعرفة بهذه الحالة أن من أخذ
برأيه يخرج لسبعة تبقى من شبط فينظر بالشام والبقاع المشابهة
له فى المزاج الى زرع الشعير فان وجد السفا وهو شوك السنبل
قد طلع عد منه الى الفاسح خمسين يوما وان لم يره طالعا كبسها بشهر
فبعضهم يردف الكبس بشبط فيكون فى السنة شبط وشبط مرتين

وبعضهم يردفه بآذار فيكون آذار وآذار فى السنة مرتين وأكثر استعمال العانانية اشبط دون آذار كما ان الربانية تستعمل آذار دون غيره فمن يعتقد من الربانية على الشهور بالحساب يقول ان شهر تشري لا يكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدته عندهم ثلاثون يوماً أبداً وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة بعتق الارقاء وهذا العيد فى أول يوم منه ولهم أيضاً فى اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند الربانيين ان هذا الصوم لا يكون أبداً يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتقد فى الشهور الرؤية ان ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس فى ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادى عشر وذلك أربع وعشرون ساعة والربانيون يجعلون مدة الصوم خمساً وعشرين ساعة الى ان تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعاً وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه وجحد الربوبية وفيه أيضاً عيد المظلة وهو سبعة أيام يعيدون فى أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام المظلة الى آخر اليوم الثانى والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون فى هذه الايام السبعة التى أولها خامس عشر تشري تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لا يتناثر ورقها على الارض ويرون ان ذلك تذكار منهم لاظلال الله آباءهم فى التيه بالغمام وفيه أيضاً عند القرائين خاصة صوم فى اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين

يكون هذا الصوم في ثالثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد * وكسليو ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد الا ان الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر حدث عندهم وذلك ان بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بني اسرائيل وافتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج في كل ليلة الى ثمان ليالي فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموها أيام الحنكة وهي كلمة مأخوذة من التنظيف لانهم نظفوا فيها الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقراء لا يعملون ذلك لانهم لا يعولون على شيء من أمر البيت الثاني * وشهر طيبيت عدة أيامه تسعة وعشرون يوما وفي عاشره صوم سابه ان في هذا اليوم كان ابتداء محاصرة بختنصر المدينة بيت المقدس ومحاصرة طيطش لها أيضا في الخراب الثاني * وشبط أيامه أبدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد وشهر آذار كما تقدم عند الربانيين يكون مرتين في كل سنة فآذار الاول عدد أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد عندهم * وآذار الثاني ايامه تسعة وعشرون يوما أبدا وفيه عند الربانيين صوم البور في اليوم الثالث عشر منه والبور في اليوم الرابع عشر وأما القراء فليس عندهم في السنة شهر آذار سوى مرة واحدة ويجعلون صوم البور في ثالث عشره وبعده الى

الخامس عشر وهذا أيضا محدث وذلك ان بختنصر لما أجلى بنى اسرائيل من بيت المقدس وخربه ساقهم جالية الى العراق وأسكنهم فى مدينة جى التى يقال لها أصبهان فلما ملك اردشير بن بابك ملك الفرس وتسميه اليهود احشوارش كان له وزير يسمى هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ اردشير ان له ابنة عم جميلة الصورة فتزوجها وحظيت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقربه فحسده هيمون الوزير وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين كانوا فى مملكة اردشير ورتب مع نواب اردشير فى سائر أعماله ان يقتلوا كل يهودى عندهم فى يوم عينه لهم وهو الثالث عشر من آذار فبلغ ذلك مردوخاى فاعلم ابنة عمه بما دبره الوزير وحثها على اعمال الحيلة فى تخليص قومها من الهلكة فأعلمت اردشير بحسد الوزير لمردوخاى على قربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود ومازالت تغريه على الوزير الى ان أمر بقتله وقتل أهله وكتب الى اليهود أمانا فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا وصاموه شكرا لله وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ومهاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك الى اليوم وربما صور بعضهم فى هذا اليوم صورة هيمون الوزير وهم يسمونه هامان واذا صوروه ألقوه بعد العبث به فى النار حتى يحترق * وشهر نيسان عدد أيامه ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد الفاسح الذى يعرف اليوم عند النصارى بالفسح ويكون فى الخامس عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون بيوتهم من أجل ان الله سبحانه خلص بنى اسرائيل من أسر فرعون فى هذه الايام حتى

خرجوا

خرجوا من مصر مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام وتبعهم
فرعون فاغرقه الله ومن معه وسار موسى ببني اسرائيل الى التيه
ولما خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم والخبز الفطير
وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فأمروا باتخاذ الفطير واكله
في هذه الايام ليذكروا ما من الله عليهم به من انقاذهم من العبودية
وفي آخر هذه الايام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم
كبير ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبدا يوم الاثنين
ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخمسينيات من نصفه
* وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفيه عيد الموقف وهو
حج الاسابيع وهي الاسابيع التي فرضت على بني اسرائيل فيها
الفرائض ويقال لهذا العيد في زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب
ويكون بعد عيد الفطير وفيه خوطب بنو اسرائيل من طور سينا
ويكون هذا العيد في السادس منه وفيه أيضا يوم الخميس وهو
آخر الخمسينيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبدا يوم
الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت * وشهر تموز أيامه تسعة
وعشرون يوما وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لان فيه
هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بختنصر له والربانيون خاصة
يصومون يوم السابع عشر منه لان فيه هدم طيطش سور بيت
المقدس وخرب البيت الخراب الثاني * وشهر آب ثلاثون يوما وفيه
عند القرائين صوم في اليوم السابع واليوم العاشر لان البيت
المقدس خرب فيهما على يد بختنصر وفيه أيضا كان اطلاق
بختنصر النار في مدينة القدس وفي الهيكل وتصوم الربانيون

اليوم التاسع منه لان فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني * وشهر ايلول تسعة وعشرون يوما أبدا وليس فيه عيد والله أعلم

(ذكر أصل معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل)

اعلم ان الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها ان يكتب لكل من يلي أمر بني اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمي هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهي وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كانه تفسير لما في التوراة من الكلام الالهي فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بامر بني اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى ان كانت أيام يهو ياقيم ملك القدس غزاهم بختنصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا يتداولونها من المشنا التي بخط موسى ويجعلونها اماما فلما أجلى بختنصر يهو ياقيم الملك ومعه أعيان بني اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم زيادة على عشرة آلاف سار وا ومعهم نسخ المشنا التي كتبت لسائر اولي بني اسرائيل بأجمعها الى بلاد المشرق فلما سار بختنصر من بابل المكرة الثانية لغزو القدس وخربه وأجلى جميع من فيه وفي بلاد بني اسرائيل من الاسباط الاثني عشر الى بابل أقاموا بها وبقي القدس خرابا لاساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا

التى خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثانى بعد الجلاء ثلثمائة ونيف من السنين اختلف بنو اسرائيل فى دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التى كتبت للملوك من مشنا موسى التى بخطه وعملوا عا فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس الى ان جاء الله بدين الاسلام وقدم عانان رأس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سنى الهجرة المحمدية وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا فى افتراق واختلاف فى دينهم الى ان غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيى بن زكريا ورفع المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وسبا جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخريب طيطش القدس فى أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممن تأخر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبا كتابا سمياه مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمناه هذا المشنا الذى وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدة من اليهود وكان شماى وهلال فى زمن واحد وكانا فى أواخر مدة تخريب البيت الثانى وكان لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحانان بن زكاى وأدرك

يوحانان بن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطش وهلال وشماى
أقوالهما مذكورة فى المشنا وهى فى ستة أسفار تشتمل على فقه
التوراة وأغمارتبها النوسى من ولد داود النبى بعد تخريب طيطش
للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا
فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال وعمل اليهود على
العمل بما فى هذا المشنا وحقيقته أنه يتضمن كثيرا مما كان فى مشنا
النبى موسى عليه السلام وكثيرا من آراء أكابرهم فلما كان بعد
وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم
المستهدوين ومعنى ذلك الأكابر وتصرفوا فى تفسير هذا المشنا
برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلموذ أخفوا فيه كثيرا مما كان
فى تلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا
التلموذ الذى كتبوه بأيديهم وضمنوه ما هو برأيهم ينسبون ما فيه
الى الله تعالى ولذلك ذمهم الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون
وهذا التلموذ نسختان مختلفتان فى الاحكام والعمل الى اليوم على
هذا التلموذ عند فرقة الربانيين بخلاف القرائين فانهم لا يعتقدون
العمل بما فى هذا التلموذ فلما قدم عانان رأس الجالوت الى العراق
أنكر على اليهود عملهم بهذا التلموذ وزعم ان الذى بيده هو الحق
لانه كتب من النسخ التى كتبت من مشنا موسى الذى بخطه
والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعولون من التوراة التى بايديهم
الا على ما فى هذا التلموذ وما خالف ما فى التلموذ لا يعبؤن به ولا يعولون

عليه كما أخبر الله تعالى اذ يقول حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وما عندهم من التوراة تبين له انهم ليسوا على شئ وانهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى بن ميمون القرطبي عوّلوا على رأيه وعملوا بما في كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الى زمننا

(ذكر فرق اليهود الآن)

اعلم ان اليهود الذين قطعهم الله في الارض أمما أربع فرق كل فرقة تخطئ الطوائف الاخر وهي طائفة الربانيين وطائفة القرائين وطائفة العانانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بختنصر بيت المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الجلاء الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم كانوا في اقامتهم بالقدس أيام العمارة الثانية افترقوا في دينهم وصاروا شيعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فليبش وقام بأمرهم في القدس هورقانوس بن شمعون بن متتيا واستقام أمره فسمي ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع من تقدمه ممن ولي أمر اليهود في القدس بعد عودهم من الجلاء انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكوهنية واطمأن اليهود في أيامه وأمنوا سائر أعدائهم من الامم فبطروا معيشتهم واختلفوا في دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لهم الفروشيم ومعناه المعتزلة ومن

مذهبهم القول بما فى التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم
وطائفة يقال لها الصدوقية بفاء نسبوا الى كبير لهم يقال له
صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الالهى
فيما دون ما عداه من الاقوال وطائفة يقال لها الحسيديم ومعناه
الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه وتعالى
والاخذ بالافضل والاسلم فى الدين وكانت الصدوقية تعادى
المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك هورقانوس أولا على رأى
المعتزلة وهو مذهب آبائه ثم انه رجع الى مذهب الصدوقية
وباين المعتزلة وعاداهم ونادى فى جميع مملكته بمنع الناس جملة
من تعلم رأى المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتتبعهم وقتل منهم
كثيرا وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة فثارت الشر و بين اليهود
واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا الى ان خرب البيت على
يد طيطش الخراب الثانى بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق
اليهود من حينئذ فى اقطار الدنيا وصاروا ذمة و النصارى تقتلهم
حيثما ظفرت بهم الى ان جاء الله بالملة الاسلامية وهم فى تفرقهم
ثلاث فرق الربانيون والقراء والسمرة

وأما الربانية فيقال لهم بنو مشنو ومعنى مشنو الثانى وقيل لهم
ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا بعد عودهم من
الجلاء وخربه طيطش و ينزلونه فى الاحترام والاكرام والتعظيم
منزلة البيت الاول الذى ابتدأ عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما
السلام وخربه بختنصر فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية
وهذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما فى المشنا الذى كتب بطبرية

بعد تخريب طيطش للقدس وتعول فى أحكام الشريعة على
ما فى التلمود الى هذا الوقت الذى نحن فيه وهى بعيدة عن العمل
بالنصوص الالاهية متبعة لآراء من تقدمها من الاحبار ومن
اطلع على حقيقة دينها تبين له أن الذى ذمهم الله به فى القرآن
الكريم حق لا مرية فيه وانه لا يصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد
الانتماء فقط لا أنهم فى الاتباع على الملة الموسوية لاسيما منذ ظهر
فيهم موسى بن ميمون القرطبى بعد الخمسمائة من سنى الهجرة
المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا فى أصول دينهم وفروعه
أبعد الناس عما جاءت به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالاهية

وأما القراءفانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون على
البيت الثانى جملة ودعوتهم انما هى لما كان عليه العمل مدة
البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الاولى وهم يحكمون
نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص
دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث
لا يتناكحون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال
للقرائين أيضا المبادية لانهم كانوا يعملون مبادى الشهور من
الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لهم أيضا الاسمعية
لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس
والتقليد

وأما العانانية فانهم ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذى قدم من
الشرق فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذى
كتب من الخط الذى كتب من خط النبى موسى عليه السلام وانه

رأى ماعليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف ما معه فتجرد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدرى بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لوظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا فلم يقدروا على مناصبته لما أوتى مع ماذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع فى الملة الاسلامية ولم يبال فى أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطاهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجل القول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو نبى أرسل الى العرب الا ان التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الى الناس كافة صلى الله عليه وسلم

(ذكر السمرة)

اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من المشرق وسكنوا فى بلاد الشام وتهودوا ويقال انهم من بنى سامرك بن كفر كابن زى وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسى والنشاب والسيوف والوشى ومنهم السمرة الذين تفرقوا فى البلاد ويقال ان سليمان بن داود لما مات افترق ملك بنى اسرائيل من بعده وصار رحبعم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يربعم بن نباط عشرة أسباط من بنى اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ

عملين دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى أن مات
فولى ملك بنى اسرائيل من بعده عدة ملوك على مثل طريقته
فى الكفر بالله وعبادة الاوثان الى ان ملكهم عمرى بن نوذب من
سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضة
و بنى فيه قصرا وسماه باسم اشتقه من اسم شامر الذى اشترى منه
المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينة شمرون
وجعلها كرسى ملكه الى أن مات فاتخذها ملوك بنى اسرائيل من
بعده مدينة الملك وما زالوا فيها الى أن ولى هوشاع بن ايلا وهم على
الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الاوثان مع قتل الانبياء الى
ان سلط الله عليهم سنحاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون
ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاه ومعه جميع من فى شمرون
من بنى اسرائيل وأنزلهم بهراة وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من
حينئذ ملك بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعدما ملكوا من بعد
سليمان عليه السلام مدة مائتى سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان
سنحاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيرا من أهل كوثا وبابل
وحماة وأنزلهم فيها السمرة وها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم
الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على
غير ما يجب وصاروا يقرؤنها ناقصة أربعة أحرف الالف والهاء
والحاء والعين ولا ينطقون بشئ من هذه الاحرف فى قراءتهم
التوراة وعرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم مدينة شمرون وشمرون
هذه هى مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها
سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس

الى ان غزا بختنصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فمر على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامري فانزله وصنع له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعا عظيما وحمل اليه أموالا جمة وهدايا جليلة واستأذنه في بناء هيكل لله على الجبل الذي يسمى عندهم طور بريك فاذن له وسار الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها بهيكل القدس ليستميل به اليهود وموه عليهم بان طور بريك هو الموضع الذي اختاره الله تعالى وذكره في التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلاط قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فمقت اليهود منشا على ذلك وأبعدوه وحطوه عن مرتبته عقوبة له على مصاهرته سنبلاط فاقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهنا في هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصاروا يحجون الى هيكله في الاعياد ويقربون قرابينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا اقدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال في هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس واستغنى كهنته وخدامه وعظم أمر منشا وكبرت حاله فلم تزل هذه الطائفة تحج الى طور بريك حتى كان زمن هورقانوس بن شمعون الكوهن من بنى حشمناى في بيت المقدس وسار الى بلد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طور بريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتى سنة وقتل من كان هنالك من الكهنة فلم تزل السمرة

بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل فى صلاتها حيثما كانت من الارض طور بريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ما عليه اليهود ولهم كنائس فى كل بلدة تخصهم والسمرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وأبوا ان يكون بعد موسى عليه السلام نبى وجعلوا رؤساءهم من بنى هرون عليه السلام وأكثرهم يسكن مدينة نابلس وهم كثير فى مدائن الشام ويذكر انهم الذين يقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهناك مراعيه

وذكر المسعودى ان السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم ان التوراة التى فى أيدى اليهود ليس التوراة التى أوردها موسى عليه السلام ويقولون توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى ما بأيديهم دون غيرهم قال أبو ريحان محمد ابن أحمد البيروتى ان السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بدلهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود واجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بنى اسرائيل فلم يحربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبى عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتداء وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولا يمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى

عليه السلام من أنبياء بنى اسرائيل وفى شرح الانجيل ان اليهود
انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق الكتاب وكانوا يحافظون على
العادات التى أجمع عليها المشايخ ثم اليس فى التوراة والمعتزلة وهم
الفروشيم وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين فى الاسبوع
ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز فى رؤس
ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويبالغون فى اظهار النظافة
والزنادقة وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية فيكفرون
بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ماخلا موسى فقط
فانهم اقر بنبوته والمتطهرون وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون
لايستحق حياة الابد الا من تطهر كل يوم والاساييون ومعناه
الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع الاوامر الالهية
وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون
بكتب غير الانبياء والمتقشفون وكانوا يمنعون أكثر المأكل
وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بان
التوراة ليست كلها لموسى ويتمسكون بصحف منسوبة الى
اخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون
بها والهيروديسيون سموا أنفسهم بذلك لموالاتهم هيرودس ملكهم
وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى
وذكر يوسف بن كريون فى تاريخه ان اليهود كانوا فى زمن ملكهم
هورقانوس يعنى فى زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاء ثلاث
فرق الفروشيم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما فى التوراة
ومافسره الحكماء من سلفهم والصدوقية أصحاب رجل من العلماء

يقال له صادوف مذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره والحسيديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والنسك الآخذون في كل أمر بالافضل والاسلم في الدين انتهى وهذه الفرقة هي أصل فرقتي الربانيين والقراء

فصل زعم بعضهم ان اليهود عانانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولي القدس عند قدوم الاسكندر وجالوتية وفيومية وسامرية وعكبرية واصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشتانية وفلسطينية ومالكية وربانية فالعانانية تقول بالتوحيد والعدل ونفي التشبيه والشمعونية تشبه وتبالغ الجالوتية في التشبيه وأما الفيومية فانها تنسب الى ابي سعيد الفيومي وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة والسامرة ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرون بنبوة من جاء بعد يوشع والعكبرية أصحاب أبي موسى البغدادي العكبري واسمعيل العكبري يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة والاصبهانية أصحاب أبي عيسى الاصبهاني وادعى النبوة وانه عرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به وتزعم يهود اصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم والعراقية تخالف الخراسانية في أوقات أعيادهم وعدد أيامهم والشرشتانية أصحاب شرشتان زعم انه ذهب من التوراة ثمانون سورة أي آية وادعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر وأما يهود فلسطين فزعموا ان العزير ابن الله تعالى وأنكر أكثر اليهود ذلك والمالكية تزعم ان الله تعالى لا يحيي يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالرسل والكتب

قوله ومغاربة لم يذكرهم في التفصيل كما ذكرهم هنا فلعله من سقط قلم المؤلف او المجرد

ومالك هذا هو تلميذ عانان والربانية تزعم ان الحائض اذا مست ثوبا بين ثياب وجب غسل جميعها والعرقية تعمل رؤس الشهور بالاهلة وآخرون يعملون بالحساب والله تعالى أعلم انتهى مانقلته من كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى

(من كتاب عمدة الصفوة فى حل القهوة للشيخ عبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى الحنبلى)

(الباب الاول فى معنى القهوة وصفتها وطبعها وفى أى بلدة بدا انتشارها ولاى معنى طبخت وشربت وعلامنارها) اعلم ان القهوة هى النوع المتخذ من قشر البن أو منه مع حبه المحمص بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة المفتوحة أيضا أى المقلى وصفتها هو ان يوضع القشر اما وحده وهى القشرية أو مع البن المحمص المدقوق وهى البنية فى ماء ثم يغلى عليه حتى يخرج خاصيته ومنهم من يجد غاية اعتدال استوائها بطعم مذاقها الى المرارة وتسمى عندهم فى اصطلاح ذوى معرفتها المحكمة الاستواء بتشديد الكاف وتركه ثم تشرب فمن قائل بحلها يرى انها الشراب الطهور المباركة على أربابها الموجبة للنشاط والاعانة على ذكر الله تعالى وفعل العبادة لطلابها ومن قائل بحرمتها مفرط فى ذمها والتشنيع على شرابها وكثر فيها من الجانبين التصانيف والفتاوى وبالغ القائل بحرمتها فادعى انها من الخمر وقاسها به وساوى وبعضهم نسب اليها الاضرار بالعقل والبدن الى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية الى

الجدال والفتن وحصول ما أدى الى قتل نفوس ونحن بمكة وبمصر القاهرة والمنع من بيعها وكسر أوانيها المحترمة الطاهرة بل والى تعزير باعتها بالضرب وغيره من غير حجة ظاهرة والى تأديبهم بضياع مالهم واحراق القشر المتخذ منه في كرات متواترة وايذاء بعض شرابها رجاء مصلحة تعود اليه اما في الدنيا أو الآخرة وكثر التعصب من الجانبين فهاجت جنود الشياطين وثارت حظوظ النفوس التى لا طائل تحتها من المؤمنين وبالغ الذام لها فزعم ان شاربها يحشر يوم القيامة ووجهه اسود من قعور أوانيها وكثر التقاطع والتدابر بين الفريقين والذم لمن يعانيها وسيرد عليك ما قيل فى حقيقتها من الاسئلة والجواب مما يكشف عن وجه حلها المستعملها النقاب ويوضح اباحتها على الصورة التى لا قدح فيها ولا ارتياب ويمنع من خالف ذلك بحجج سالكة فى جادة الصواب * وأما اشتقاق اسم القهوة كما قال العلامة الفخر أبو بكر بن أبي يزيد فى مؤلفه اثارة النخوة بحل القهوة انها من الاقهاء وهو الاجتواء أى الكراهة أو من الاقهاء بمعنى الاقعاد من أقهى الرجل عن الشئ أى قعد عنه وكراهة كل شئ والقعود عنه بحسبه ومنه سميت الخمرة قهوة لانها تقهى أى تكره الطعام أو تقعد عنه حسبما نقل عمن يعرف أحوالها فكذلك هذا المعنى المذكور فتكره أو تقعد عن النوم الموضوعة فى الاصل لاذهابه لما يترتب عليه من قيام الليل المطلوب شرعا ثم قال ونظير ذلك فى الاطلاق النظم فانه يطلق على الاقتران لما انه فى الاصل جعل اللؤلؤ فى السلك ثم استعير للشعر والقرآن على انها أولى بتسمية ذلك من الخمر لاسيما وقد تلاعب

بلفظها الصوفية وتداولته وعبرت به عن المحبة ومثلها فى ذلك التعبير بالخمر وغير ذلك كما قال الشيخ شرف عمر بن الفارض فى ديوانه سقتنى حميا الحب وغير ذلك من الالفاظ وتحوى فى كلام سيدى على وفى ومن سمع كلام السادة علم صحة ما قلناه انتهى وبعضهم كان يكسر القاف ويقول القهوة فرقا بين القهوتين * وأما طبعها فذكر كثير من الاطباء والحذاق الالباء انها حارة يابسة وقال آخرون باردة يابسة وهو من مذهب أهل الذم لها ومن أعظم منافعها اذهاب النوم وان كان للسهر أسباب كثيرة غيرها من تقليل الاكل وترك التعب فى النهار والقيلولة وغير ذلك مما تقرر فى كتب السادة الصوفية * (فائدة) * قال قاضى القضاة علامة زمانه تاج الدين عبد الوهاب بن يعقوب المكى المالكى رئيس الاقطار الحجازية تغمده الله برحمته فى ليالى اجتماعى به زمن الموسم بداره بالسويقة بمكة المشرفة وكان لى به اجتماعات خاصة فى كل سنة فى الليالى الثمان وبعدها ان شرب الماء البارد قبل القهوة مما يفيدها رطوبة المزاج ويقل يبسها ولا يكون السهر حينئذ شديدا وكنت أراه يفعل ذلك دائما لهذا المعنى وهو من ذوى المعرفة والتجارب وله الخبرة والسياسة الحسنة فى سائر الامور بحيث بلغ بسبب ادمانه وخبرته أعلى المراتب عند صاحب مكة وهو السيد الشريف نجم الدنيا والدين أبو نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسينى ووالده الشريف أحمد هو المشهور فى زمنه بالاقطار الحجازية ومتعت بصاحبته وصداقته ومسامرته عدة من السنين الى أن توفى فى تاسع المحرم عام ثلاث وستين وتسعمائة وتاريخ وفاته بحساب

الجل بجنان الخلد سكنه ومأواه ولم يخلف بعده مثله اسكنه الله الفردوس الاعلى * وأما مبدأ حدوث القهوة فقال الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار مالفظه ان الاخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن بانه قد شاع فى اليمن شراب يقال له القهوة تستعمله مشايخ الصوفية وغيرهم للاستعانة به على السهر فى الاذكار التى يعملونها على طريقتهم المشهورة ثم بلغنا بعد ذلك بمدة ان ظهورها وانتشارها فيه كان على يد المشهور بالعلم والولاية الشيخ الامام العالم العلامة المفتى المسلك جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذبحانى بفتح الذال المعجمة وسكون الموحدة وفتح المهملة وبعد ألفه نون مكسورة نسبة الى ذبحان بلدة معروفة باليمن وسمعنا أنه رحمه الله كان متوليا بوظيفة تصحيح الفتاوى بعدن وهى وظيفة كانت بها اذ ذاك تعرض على صاحبها الفتاوى فيقر ماراه صوابا ويكتب تحتها صح بخطه وينبه على مايرى اصلاحه قال وسبب اظهاره لها ماسمعناه أيضا انه رحمه الله كان عرض له أمر اقتضى له الخروج من عدن الى بر عجم فأقام به مدة فوجد أهله يستعملون القهوة ولم يعلم لها خاصية ثم عرض له لما رجع الى عدن مرض فتذكرها فشربها فنفعته فيه فوجد فيها من الخواص أنها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطا فلما سلك طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ماذكرناه ثم تتابع الناس بعدن والفقهاء والعوام على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغيره ذلك من الحرف والصناعات ولم تزل فى انتشار قال ثم انى كتبت لبعض اخواننا فى الله

تعالى من أهل الدين والعلم بزبيد وهو الفقيه الاجل جمال الدين
أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الغفار العلوى
وهو من بيت كبير بزبيد مشهور أهله بالعلم والدين ان يبحث لى عمن
شربها باليمن ممن يعتمد به من أهل العلم والدين وعن أول حدوثها
فيه فكان مما كتبه الى فى الجواب ما صورته وما ذكره لى سيدى
حفظه الله تعالى من البحث عمن شربها من أهل اليمن فسأل المملوك
جماعة من المعمرين ببلدنا واسنهم الآن عم المملوك الفقيه
العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن ابراهيم العلوى فانه
الآن قد زاد على التسعين فاخبرنى حفظه الله وأبقاه عن بدء أمر
القهوة وذلك انه قال كنت بمدينة عدن فوصل الينا بعض
الفقراء السالكين وكان يعمل القهوة ويشربها وانه كان
يعمل للشيخ العلامة خاتمة العلماء بثغر عدن الفقيه محمد المعروف
بافضل الحضرمى والشيخ العارف بالله تعالى محمد الذبحانى ويشربانها
بحضر من الناس وكفى بهم حجة فى ذلك انتهى قال العلامة ابن عبد
الغفار فيحتمل ان يكون الذبحانى أول من أدخلها عدن كما هو
المشهور ويحتمل ان يكون الذى أدخلها عدن غيره ولكنها نسبت
اليه لكونه كان هو السبب فى ظهورها وانتشارها والشيخ شهاب
الدين الذبحانى هذا كانت وفاته سنة خمس وسبعين وثمانمائة فقد
علمت مبدأ ظهورها قلت فعلى هذا ان القهوة بالنسبة الى الظهور
فى اليمن لا فى غيره والى آننا الآن الذى هو عام ست وتسعين
وتسعمائة تزيد مدتها عن مائة عام وانما قلنا لا فى غيره لان ظهور
القهوة فى بر ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرت وغيرها من

بر العجم لا يعلم متى كان أوله ولا علمنا سببه * وقال العلامة المجد فخر الدين بن بكر بن أبي يزيد المكي ما لفظه قيل وأول من أنشاها الشيخ الصالح الملك أبو عبد الله محمد بن سعيد الذبحاني والذي بلغنا عن جمع يبلغ حد التواتر ان أول من أنشاها وأظهرها وبأرض اليمن أشاعها وأشهرها الشيخ العارف بالله تعالى علي بن عمر الشاذلي أحد تلامذة سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى ناصر الدين بن ميلق أحد السادة المشايخ الشاذلية ولسان حالهم في المعارف الالهية وانها كانت قبل من الكفتة أعني الورق المسمى بالقات لا من البن ولا من قشره فلا زالت تنتقل من بلد الى آخر حتى وصلت الى ثغر عدن المحروس فعدمت الكفتة من عدن في زمن سيدنا الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني المذكور أولا وقال لمن يلوذ به وينتمي اليه ان البن يسهرنا فتحنوا باقهوته فامتحنوها فوجدوها تعمل عملها مع قلة الثمن والمؤنة ثم استمر شربها من منشئها وغيره مما لا نطول بذكره ولا منافاة بين الكلامين كما لا يخفى اذ من نقل الاول رأى القهوة القشريه ومن نقل الثاني رأى القهوة القاتية ثم قال وأما نحن فأدركنا القشر بنواحي مكة وغيرها من منذ عشرين سنة وأكثر ولم تظهر القهوة منه الا في أواخر القرن التاسع الى هذا الآن من القرن العاشر ولم يتكلم عليها أحد من علماء الزمان لان الظاهر مما حررناه انها لم تكن في زمانهم ولم يتكلموا عليها اذ لم يروا فيها ما يقتضي التكلم وليست مما تتوفر فيه الدواعي على نقله ثم مع استمرار الزمان بما سبب من الاسباب اندحضت ولم يلتفت اليها ثم ظهرت في الوقت الذي ذكرناه وكم من أمور ظهرت في السنين

الخالية ونسيت ثم ظهرت بعد ذلك وظن المدرك لها انها انما وقع
ابتداعها في زمن ادراكه لها * وأما أول ظهورها بمصر فقال
العلامة ابن عبد الغفار رحمه الله تعالى انها ظهرت في حارة الجامع
الازهر المعمور بذكر الله تعالى في العشر الاول من هذا القرن
وكانت تشرب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيه اليمانيون
ومن يسكن معهم في رواقهم من أهل الحرمين الشريفين وكان
المستعمل لها الفقراء المشتغلون بالرواتب من الاذكار والمديح
على طريقتهم المذكورة وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة
يضعونها في ماجور كبير من الفخار الاحمر ويغترف منها النقيب
بسكرجة صغيرة ويسقيهم الايمن فالايمن مع ذكرهم المعتاد عليها
وهو غالبا لا اله الا الله الملك الحق المبين وكان يشربها معهم موافقة
لهم من يحضر الرواتب من العوام وغيرهم قال وكنا ممن يحضر
معهم وشربناها معهم فوجدناها في اذهاب النعاس والكسل
كما قالوا بحيث انا نسهر معهم ليالي لا نحصيها الى ان نصلي الصبح
مع الجماعة من غير تكلف وكان يشربها معهم من أهل الجامع من
أصحابنا وغيرهم خلق لا نحصيهم ولم يزل الحال على ذلك وشربت
كثيرا في حارة الجامع الازهر وبيعت بها جهرا في عدة مواضع
ولم يتعرض أحد مع طول المدة لشرابها ولا انكر على شرابها
لا لذاتها ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة
وشربها في نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكر أو مولد
الا بحضورها وفشت بالمدينة الشريفة دون فشوها في مكة
حيث ان الناس يطبخونها في بيوتهم كثيرا ثم حدث الانكار عليها

بمكة المشرفة فى عام سبعة عشر وتسعمائة وكان القائم فى ذلك
رجلين أعجميين آخرين كانا مشهورين بالحكيمين وكان لهما فضيلة
فى المنطق والكلام ومشاركة فى الطب ويدعيان مرتبة فى الفقه
لم تسلم لهما وهما الرجلان اللذان رحلا الى مصر فى أواخر دولة
الغورى وأقاما بها حتى قدم اليها السلطان الملك المظفر سليم شاه سق
الله تعالى عهده صوب الرحمة وقتلهما توسطا لما كانا يرميان به
مما الله اعلم بحقيقة الحال فيه واعانهما على القيام فى أمرها الشيخ
شمس الدين محمد الحنفى الخطيب نقيب قاضى القضاة سرى الدين
ابن الشحنة وناس آخرون تبعا لهم فاغرى الشيخ شمس الدين
الخطيب الامير خاير بك المعمار باش مكة ومحتسبها اذ ذاك على
ابطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرر عنده انها
موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغبه بذلك جدا وحمله على ان عقد
له مجلسا عنده وانفصلوا منه على القول بحرمتها وكتبوا بذلك
محضرا أنشأه لهم الشمس الخطيب وأرسلوه الى مصر وأرسلوا معه
سؤالا انشاه الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوما سلطانيا بالمنع بمكة
المشرفة ثم لما انصرفوا من عقد المجلس أشهر الامير خاير بك النداء
بالمنع من شربها وبيعها وشدد فى ذلك حتى انه عزر جماعة من باعتها
وكبس مواضعهم وأخرج ما وجده فيها من قشر البن وأحرقه فى وسط
المسيع فبطلت حينئذ من السوق وكان الناس يشربونها فى بيوتهم
اتقاء شره لانه بلغه عن شخص انه يشربها فعزره وطاف به فى
الاسواق ثم ورد بعد ذلك المرسوم السلطانى ولكن لا على وفق
غرضهم كما ستقف عليه فى عبارته فتجاسر الناس على شربها الا سيما

وقد بلغهم انها لاتمنع من مصر التى هى بلدة السلطان ولم ينكرها
أحد من علمائها اذ ذاك والاعيان وفتر خاير بك عن التسلط على
الناس بسببها واستمر الحال على ذلك ثم قدم المرحوم ناظر الخواص
الشريفة العلائى ابن الامام الى مكة المشرفة فى عام ثمانية عشر
وتسعمائة لمهم سلطانى فمنع الشمس الخطيب من تحمل الشهادة
وأدائها وأراد حمله الى مصر ثم أعفاه من ذلك فانقطع الخطيب فى بيته
الى الموسم فازداد الامر فتورا والقهوة ظهورا وتوجه الخطيب
صحبة الركب الى مصر وتوفى بينبع وقال فى هذا المعنى بعض
أهل المجون ونسب ذلك الى الشيخ أبى الفتح المالكى بالشام

قهوة البن حرمت * فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا * وازلوا فى قفا الخطيب

وقال غيره

قهوة البن حرمت * فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا * والعنوا من هو السبب

واتفق فى عام ثمانية المذكور ان الامير قطلباى قدم الى مكة
المشرفة صحبة الركب الشريف باشا عوضا عن خاير بك فأكثر
شربها فاشتهرت اضعاف اشتهارها الاول ثم لم يزل أمرها يتزايد
فى الحرمين وغيرها ولم يتعرض لها أحد بالمنع وبلغ الشيخ العارف
بالله تعالى سيدى محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته لما قدم الى مكة
فى ذى القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين انه كان يفعل فى بيوت
القهوة من المنكرات فأشار على الحكام بابطال بيوت القهوة مع
تصريحه بحلها فى حد ذاتها غير مرة لغير واحد بحيث بلغ ذلك

منه مبلغ التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة مع طول اقامته فيها وبلغه ان امرأة شابة تبيع القهوة في المدينة مكشوفة الوجه فمنعها من البيع فشكت اليه حالها من الحاجة فأذن لها في البيع بشرط الستر فلما توفي الشيخ رحمه الله بمكة في خامس صفر سنة ثلاث وثلاثين رجع الحال الى ما كان عليه ولم يزل في تزايد الى وقتنا هذا اقلت ولم تزل أولياء الشيخ من بعده على القول بحل القهوة والمواظبة عليها حتى ان أجلهم قطب دائرة أهل الحرمين في الظهور علما وصلاحا وافتاء وتدريسا وتأليفا كان أجل ما يحضره لمن يرد عليه من الاكابر ومن دونهم القهوة ويتكرر فعله لذلك في اليوم والليلة مرات خصوصا في زمن الموسم وهي كانت مكرمتي عنده اذا قدمت عليه بمكة والمدينة أو بالقاهرة في أوقات سفره اليها وكذلك يشربها بمنزلي أيام اقامته بالقاهرة نفعنا الله ببركاته وبركة سلفه توفي بالمدينة المنورة في عام ثلاث وتسعين وتسعمائة بعد أخيه الشيخ عبد النافع قاضي اليمن ثم في عام تسع وثلاثين رفع للشيخ العلامة واعظ العصر شيخنا شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي سؤال في القهوة صورته ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون انه مباح مع انه يترتب عليه مفاسد كثيرة فهل ذلك جائز أم حرام فاجاب بحرمتها وانها منكرة وكتب على هذا السؤال جوابا واسع العبارة لا يحتمله هذا المختصر أحال فيه على أخبار من شربها وتاب عنها وعلى ما وصف به الجمع في بيوتها من الاوصاف المانعة لشربها وسيأتي ذكر ذلك

ملخصا في الباب الثاني ثم في سنة احدى واربعين تعرضوا للشيخ
في مجلس وعظه بذكر القهوة فافتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسه
بالجامع الازهر فتعصب جماعة من العوام السامعوا ذلك منه وخرجوا
الى بيوتها من تلقاء أنفسهم من غير امر حاكم بل بمجرد الخلات
العامية وكسروا أوانيها وضربوا جماعة من هناك فقام بسبب ذلك
فتنة كبيرة وتعصبات ممن يقول بالحل والحرمة شهيرة واحتيج الى
الاستفتاء أيضا واتصل الامر بقاضي مصر هو الشيخ محمد بن الياس
الحنفي فسأل عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتين بها
واعتمد على افتاء من قال بحلها من العلماء المعتبرين ثم استظهر على
ذلك فامر بطبخها في منزله وسقى منها جماعات بحضرته وجلس يتحدث
معهم معظم النهار ايختبر حالهم فلم ير فيهم تغييرا ولا شيأ منكرا
فاقرها على حالها وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي
لبيع القهوة وافتائه بحرمتها وقيام العامة معه يقول بعضهم أظنه
الفقيه الجبون بجدة شعر

ان أقواما تعدوا * والبلا منهم تأتى
حرموا القهوة عمدا * قد رووا افكا وبهتا
ان سالت النص قالوا * ابن عبد الحق أفتى
يا أولى الفضل اشربوها * واتركوا ما قال بهتا
ودعوا العذال فيها * يشربون الماء حتى

وفي عام خمس واربعين بينما جماعة في بيوت القهوة يستعملونها
في شهر رمضان بعد العشاء اذ وافاهم صاحب العسس امامن تلقاء
نفسه أو لامر أوحى اليه وأخرجهم منها على هيئة شنيعة بعضهم

في الحديد

فى اسطنبول وبعضهم مربوط بالحبال فباتوا فى منزل السوباشاه ثم
أطلقوا اصباحا بعد ان ضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة ثم
لم يلبثوا ان ظهر الحق وعاد الحال الى ما كان عليه أولا بعد يومين
أو نحوهما وورد فى عشر الخمسين وتسعمائة فى موسم الحاج صحبة
الركب الشامى الى مكة المشرفة حكم سلطانى بمنع القهوة وابطالها
والزام باعتها بمنع التسبب بها وابطال محالها ذكر ان سبب ذلك
شكوى امرأة رومية كانت مجاورة بمكة فحصل ذلك فاشهر النداء
بابطالها والتحذير من السلوك فى هذه المسالك وامتثل ذلك جميعه
يوم المناداة ثم اغلقت بيوتها ونحوتم الذين بها من غير مبالاة من الولاة
وشربت فى موسم تلك السنة جهارا ودام استمرارها وكذلك منعت
بالقاهرة مرارا فلم تطل المدة وعلا منارها ولم يزل أمرها ظاهرا
وتعداد بيوتها الى الكثرة وافيا وشاهرا يشرب بها العلماء والصلحاء
وطلبة العلم وأماثل الفقهاء ويقرع عليها أهل الافتاء والتدريس
ويواظب على شربها من اتصف بالفضل وكل نبيل ورئيس بالجامع
الأزهر والبقاع المكرمة وفى سائر الايام والاوقات المعظمة على
الحالات الصالحة المشكورة والاجتماعات للاذكار فى الليالى التى
هى بالخيرات موفورة وبالثناء على الله تعالى والصلاة على سيدنا
محمد أشرف المرسلين أوقاتها الصالحة معمورة وبانتظام سلك
القربات والبركات بكل فضل مغمورة وطال ماشربتها مع
أجلاء أهل الحرمين فى يوم عرفات المعظم واجتماعات الموقف
الجليل المكرم التماسا لوافر اذهاب الكسل وقوة النشاط
والاعانة على الدعاء والوقوف والرفع وغير ذلك مما يرتبط بالعمل

الصالح غاية الارتباط والذى أقوله (ان الحق الذى لامرية فيه ولاشبهة تعارضه) وتنافيه انها فى حد ذاتها حلال وبها من نشاط على العبادة مالايشوبه نقص ولا اختلال وأما الامور المستجدة من هيئة بيوت باعتها واجتماع أهل الحظوظ فيها مع ذويها وجماعتها واضافة ماللإباح الى ذاتها أو معها بالاوصاف التى اشتهرت بين البرية فلا يبيحها من له أدنى المام بمعرفة الاحكام الشرعية والحرام ما حرم بعد حل قطافه لاشتماله بعد ذلك على قبيح أوصافه التى يحدث منها ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة والتساهل فيهما والاغضاء فقبح الاوصاف يحرم ما كان مباحا بلا خلاف

(من الباب الثانى فى سياق المحضر الذى كتب فى شأنها بمكة المشرفة وشرح المرسوم السلطانى الوارد جوابا عما ذكرت من الصفة وذكر فتاوى العلماء بالحل والحرمة وأقوال ذوى المعرفة الى غير ذلك)

فنقول أما المحضر فنص المقصود منه هذه صورة واقعة شرعية مضمونها ان مولانا المقام الشريف أبو النصر قانصوه الغورى لما أقامه الله تعالى خادما للحرمين الشريفين جعل الجناب العالى خاير بك المعمار ناظر الحسبة الشريفة بمكة المشرفة وباشا على المماليك السلطانية بها وكان مما اتفق له انه فى الليلة التى يسفر صباحها عن يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول

سنة سبع عشرة وتسعمائة صلى العشاء الآخرة بالمسجد الحرام
مع الجماعة على عادته ثم طاف بالكعبة الشريفة مابداله وابتدأ
بتقبيل الحجر الاسود وختم به والتزم بالملتزم ودعا بما بداله ثم صلى خلف
المقام ركعات الطواف ودعا بما بداله ثم شرب من ماء زمزم ودعا
كذلك ثم توجه من المطاف الى بيته فرأى في طريقه ناسا مجتمعين
بالمسجد الحرام في ناحية من نواحيها قد جمعهم السيق قرقماس
الناصري بزعم انه قد عمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم فلما أقبل
عليهم قبل وصوله اليهم أطفؤا الفوانيس التي كانت موقودة
فاتهمهم في ذلك وأرسل اليهم وكشف أمرهم فوجد بينهم شيأ
يتعاطونه على هيئة الشربة الذين يتعاطون المسكر ومعهم كاس
يديرونه ويتداولونه بينهم وقرقماس المذكور هو الساقي لهم
بالقدح المذكور فلما علم الامير ذلك أنكره خاطره خصوصا
ووظيفته الحسبة التي موضوعها الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فسأل عن الشراب المذكور فقيل له ان هذا شراب اتخذ
في هذا الزمان تسمى القهوة يطبخ من قشر حب يأتي من بلاد اليمن
يقال له البن وان هذا الشراب المذكور قد فشا أمره بمكة وكثر
وصار يباع في مكة في أماكن على هيئة الخمارات ويجتمع عليه
بعض الناس من رجال ونساء بدف ورباب وغير ذلك من آلات
الملاهي ويجتمع في الاماكن التي يباع فيها من يلعب بالشطرنج
والمنقلة وغير ذلك بالرهن وغيره مما هو ممنوع في الشريعة المطهرة
حماها الله من الفساق الى يوم التلاق فلما سمع الامير ذلك أنكر
هذا الامر وتذكر قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان

وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفى رواية وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من الايمان فانكر على الجماعة المجتمعين وفرق جمعهم وشتت شملهم فلما أصبح جمع قضاة الاسلام وعلماء الانام ممن هو متصف بمعرفة العلم والتصوف والصلاح والزهد والورع والدين ممن يقتدى بقولهم وفعلهم من السادة الشافعية والمالكية والحنفية فحضر مولانا قاضى القضاة الحمصى المالكى وتعذر حضور قاضى القضاة نسيم الدين المرشدى الحنفى لضعف أوجب انقطاعه وحضر الشيخ شهاب الدين فاتح بيت الله الحرام والشيخ عفيف الدين عبد الله اليمانى الحضرمى الشافعى المعروف بابى كثير والشيخ الامام عبد النبى المغربى المالكى وفلان وفلان الى أن قال وجماعات كثيرة وأحضر القهوة فى مركن كبير والكاس معه وفاوضهم الامير خاير بك المشار اليه فى أمر القهوة المذكورة واجتماع الناس عليها على هذه الهيئة المشروحة فاجابوا أجمعين بان اجتماع الناس عليها على هذه الهيئة حرام اتفاقا فيجب انكاره على كل قادر عليه وأما الحب المسمى بالبن المذكور فحكمه حكم النباتات والاصل فيه الاباحة لقوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان كان يحصل من مطبوخ قشره ضرر فى البدن أو فى العقل أو يحصل به نشأة ولذة وطرب فانه حرام ولو استعمله الانسان بمفرده فى داخل بيته والمرجع فى ذلك الى الاطباء فلما سمع الامير خاير بك بأن المرجع الى الاطباء أحضر

الشيخين

الشيخين الامامين العلامتين الشيخ نور الدين أحمد العجمي الكازروني
وأخاه علاء الدين عليا وهما من أعيان السادة الاطباء بمكة
الصالحين للسيد الشريف بركات بن محمد وأخيه السيد الشريف
معز الدين قايتباي والسادة التجار بمكة وجدة أعزهما الله تعالى
ونفع ببركاتهما وسألهما عن هذا البن الذي يتخذ من قشره هذا
الشراب فذكروا أنه بارد يابس مفسد للبدن المعتدل فاعترض
عليهما شخص من الحاضرين ممن ليس له المام بالطب وقال ان البن
مذكور في منهاج البيان وانه محرق للبلغم فقال الطبيبان ان البن
المذكور في المنهاج ليس هو هذا فان هذا اجزء مفرد بسيط وذلك
مركب من أبازير ولو كان مباحا فقد يجر الى معصية وكل طاعة جرت
الى معصية سقطت فاذا دار الامر بين المحرم والمبيح قدم المحرم وأثبتا
شهادتهما بصيغة أشهد المعتبرة لدى مولانا شيخ الاسلام الصلاحي
الشافعي ومولانا شيخ الاسلام الاخمي المالكي ثم ذكر جماعة من
الحاضرين بالمجلس ان القهوة المذكورة قد ذكر لهم انها حلال
فاستعملوها بناء على الاباحة الاصلية فتغيرت حواسهم وأنكروا
هيئتهم وتغير عقلهم فحصل بذلك الضرر في أبدانهم وأقاموا شهاداتهم
بذلك عند من أشير اليهما بحضرة الجماعة الحاضرين ثم روجع في ذلك
في دار سيدنا قاضي القضاة نسيم الدين الحنفي لتعذر حضوره فقال
انه أقيم عنده البينة بمثل ذلك وحصل منه التصريح بحرمتها ثم
صرح مولانا شيخ الاسلام الاخمي المالكي والجماعة الحاضرون
بحرمتها وحصل اجماعهم على ذلك ولما تم الامر على ذلك وتحققه
الامير خاير بك المحتسب أشهر النداء بمكة المشرفة بمنعها ونواحيها

وطرقهما بالمنع من تعاطى القهوة المذكورة ومنع من يتعاطاها
وانفصل الامر على ذلك وجعل ذلك فى الصحائف الشريفة كل ذلك
فى ضحوة يوم الجمعة المباركة الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول
سنة سبع عشرة وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل الى هنا عبارة
المحضر بحروفه ماعدا ما حذفت منه اختصارا من تراجم الامير
والقضاة وغيرهم ومن ذكر جماعة من حضر المجلس * وأما نقل صور
كتاباتهم فكتب قاضى القضاة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى
الحمد لله وتوكلت عليه الامر كما شرح وبين ونقح وكتب القاضى
عبد الغنى بن أبى بكر المرشدى الحنفى أحمد الله وأفوض أمرى الى
الله الامر كما شرح من مراجعتى فى دارى بسبب عذر شرعى وقد
قامت البينة عندى بما ثبت من حرمة القهوة المشروحة فيه اللهم
اهدنا الصواب وكتب القاضى نجم الدين بن عبد الوهاب بن
يعقوب المالكى الحمد لله العادل فى قضائه ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون والطف بنا فى كل حركة وسكون ونعوذ بالله
من قبول الزور والتعاطى بحرم الله أسباب الفجور وقد شهد
عندى جماعة من الاعيان ذوى المعرفة والاتقان بافسادها
للابدان وبينوا لنا غاية البيان والامر كما شرح فيه من غير
شئ ينافيه ولا حاجة الى نقل صورة كتابة الباقين لما فى ذلك من
التطويل من غير فائدة اذ ليس فيها غير الموافقة على مضمونه بناء
على الصفات المشروحة فيه التى لا حقيقة لها على أن معظمهم كانوا
عارفين بحقيقة الحال بل من شراب القهوة المواظبين عليها ولم يكن
لهم غرض فى الكتابة وانما كتبوا اتقاء خش الامير لانه كان

متعصبا فى المسئلة جدا لاغرائهم له على ذلك وتقريرهم عنده انه له
فى منعها اجرا عظيما وثوابا جزيلا وكان مع ذلك سفيه اللسان جريا
على القضاة وغيرهم من الاعيان وقويت بسبب ذلك شوكة
المتعصبين فى الباطل ولم يستطع أحد أن يثبت للبحث منهم غير
الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعى مفتى مكة اذ ذاك ومدرسها
وواعظها فانه تصدى لمعارضتهم ولكنه سمع مالا يجب بل كفره
بعض أهل المجلس من أجل كلام صدر منه فى أثناء البحث
فى غاية الصحة لا محيص عنه أصلا فضلا عن أن يترتب عليه أدنى
محذور ثم لم يقتنعوا بذلك حتى عرضوا به فى السؤال الذى كتبوه الى
مصر ووصفوه فيه ظلما باقبح الصفات ومرجعهم أجمعين الى الله
سبحانه وتعالى

أما السؤال المجهز صحبة المحضر الى الديار المصرية فصورته
ماقولكم رضى الله تعالى عنكم فى مشروب يقال له القهوة شاع
شربه بمكة المشرفة وغيرها بحيث يتعاطونه فى المسجد الحرام وغيره
يدار بينهم بكاس من اناء آخر وقد أخبر خلق ممن تاب عنه بان كثيره
يؤدى الى السكر وأخبر عدول من الاطباء بانه مضر بالابدان وقد
منع من شربه من يعتد بقوله من العلماء بمكة والزهاد بها وهنالك
شاهد جاهل جهل نفسه واعظا وأفتى الفساق بحل شربه فقيل له
ماتقول فى هذه الادارة على هذه الصفة فقال الشارع أدار اللبن
فقيل له أخطأت لم يكن ادارة اللبن على هذه الصفة فهل يحل شربه
على الوجه المذكور أم يحرم مطلقا لكونه مسكرا ومضرا بالابدان
وماذا على الجاهل المبيح لشربه وهل يجب على ولى الامر أيده الله

تعالى ازالة هذا المنكر والمنع منه وردع هذا الجاهل ومن يقول بقوله أم لا وما الحكم فى ذلك افتونا مأجورين وابسطوا الجواب أيدكم الله آمين فبرز أمر السلطان المرحوم قانصوه الغورى من بيورديه بكتابة مرسوم وتجهيزه الى مكة المعظمة فجهز ونص المقصود منه وأما القهوة فقد بلغنا ان اناسا يشربونها على هيئة شرب الخمر ويخلطون فيها المسكر ويغنون عليها بآلة ويرقصون ويسكرون ومعلوم ان ماء زمزم اذا شرب على هذه الهيئة كان حراما فليمنع شرابها من التظاهر بشربها والدوران بها فى الاسواق انتهى ومما قيل فى حق القهوة هذه الابيات لبعض الاولياء

ياقهوة تذهب هم الفتى * أنت لحاوى العلم نعم المراد

شراب أهل الله فيها الشفا * لطالب الحكمة بين العباد

نطبخها قشرا فتأتى لنا * فى نكهة المسك ولون المداد

ماعرف الحق سوى عاقل * يشرب من وسط الزبادى زباد

حرمها الله على جاهل * يقول فى حرمتها باعناد

فيها لنا برء وفى حانها * صحبة ابناء الكرام الجياد

كاللبن الخالص فى حله * ماخرجت عنه سوى بالسواد

وقال آخر شعرا

عرج على القهوة فى حانها * فالذاق قد شف بندمانها

كأن تحكى الجنة فى بسطها * ورقة العيش واخوانها

وقهوة لاغم تبقى اذا * قابلك الساقى بفنجانها

قريبة العهد بعدن فان * شككت فانظر حسن ولدانها

لايوجد الغم بحاناتها * قد خضع الغم لسلطانها

شراب اهل الله فيها الشفا * بجواب من يسأل عن شانها

عيانها الغسل لاكدارنا * ونحرق الهم بنيرانها

يقول من أبصر كانونها * اف على الخمر وأدنانها

فهي رحيق لونها اخذها * قد شهد العقل ببرهانها

فاشرب ولا تسمع كلام الذى * يجهله بغي ببطلانها

انتهى المنقول من كتاب عمدة الصفوة في حل القهوة

(من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزى)

قال المقريزى في حوادث سنة ست وتسعين وسبعمائة في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر قدم كتاب تيمورلنك يتضمن الارعاد والابراق وتذكر قتل رسله ونصه قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه لانرق لشاك ولانرحم لباك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا قد خربنا البلاد وأيتمنا الاولاد وأظهرنا في الارض الفساد وذلت لنا أعزتها وملكنا بالشوكة أزمتها فان خيل ذلك على السامع وأشكل وقال ان فيه عليه مشكل فقل له ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا فخيولنا سوابق ورماحنا خوارق واسنتنا بوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وجيوشنا كعدد الرمال ونحن أبطال وأقيال وملكنا لايرام وجارنا لايضام وعزنا أبدا بالسودد مقام فمن سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل

وأنتم وان أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا وان أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا أنفسكم فالحصون منا مع تشييدها لا تمنع والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا ولا يسمع وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وضيعتم جميع الانام وأخذتم أموال الايتام وقبلتم الرشوة من الحكام وأعددتم لكم النار وبئس المصير ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فلما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك وقد قتلتم العلماء وعصيتم رب الارض والسماء وأرقتم دم الاشراف وهذا والله هو البغى والاسراف فأنتم بذلك فى النار خالدون وفى غد ينادى عليكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فأبشروا بالمذلة والهوان يا أهل البغى والعدوان وقد غلب عندكم أننا كفرة وثبت عندنا أنكم والله الكفرة الفجرة وقد سلطنا عليكم الله له أمور مقدرة وأحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل لاننا ملكنا الارض شرقا وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا وقد أوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء وتضرم الحرب نارها وتضع أوزارها وتصير كل عين عليكم باكية وينادى منادى الفراق هل ترى لهم من باقية ويسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزكم هزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقد أنصفناكم اذ راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالاولين فخالفوا

كمادتكم سنن الماضين وتعصوا رب العالمين فما على الرسول الا البلاغ المبين وقد أوضحنا لكم الكلام فأسرعوا برد جوابنا والسلام

فكتب جوابه بعد البسملة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية ونزغاتكم الشيطانية وكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنابية وسيرة الكفرة الملاكية وأنتم مخلوقون من سخط الله ومسلطون على من حل عليه غضب الله وانكم لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك أكبر عيوبكم وهذه من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين وتكفيكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل مرسل نعتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا خبركم من حين خرجتم انكم كفرة الا لعنة الله على الكافرين من تمسك بالاصول فلا يبالي بالفروع نحن المؤمنون حقا لا يدخل علينا عيب ولا يضرنا ريب القرآن علينا نزل وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل فحققنا نزوله وعلمنا بركته تأويله فالنار لكم خلقت ولجلودكم أضرمت اذا السماء انفطرت ومن أعجب العجب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكماة بالكراع نحن خيولنا برقية وسهامنا عربية وسيوفنا يمانية ولبوثنا مضرية والقناشدة المضارب

وصفتناه مذكورة في المشارق والمغارب ان قتلنا كم فنعم البضاعة
وان قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم
الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف
عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله
لا يضيع أجر المؤمنين وأما قولكم قلوبنا كالجبال وعددنا
كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الحطب يفنيه القليل
من الضرم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين الفرار من الرزايا وحلول البلايا واعلموا ان هجوم
المنية عندنا غاية الامنية ان عشنا فسعداء وان قتلنا فشهداء
ألا ان حزب الله هم الغالبون ابعد أمير المؤمنين وخليفة رب
العالمين تطلبون منا طاعة لا سمع لكم ولا طاعة وطلبتم أن نوضح
لكم أمرنا قبل أن يكشف الغطاء ففي نظمه تركيك وفي سلكه
تبديل لو كشف الغطاء لبان القصد بيانا بعد بيان أكفر بعد
ايمان ام اتخذتم الها ثان وطلبتم من معلومكم رأيكم ان نتبع
ربكم لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا قل لكاتبك الذي وضع رسالته
ووصف مقالته وصل كتابك كضرب رباب أو كطنين ذباب
كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ان
شاء الله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام
انتهى ما نقل من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

(من كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهرى)

من الباب الاول فى تشريف مملكة مصر على سائر الممالك وما فضل به على غيره وبالمعابد والمزارات وما به من العجائب والعمارات وترتيب مدنه وقلاعه ومعاملاته وحدوده وما يحتوى عليه* اعلم انه يقال ان العامر من الدنيا مسيرة مائة عام فمن ذلك مسيرة ثمانين عاما مع يأجوج ومأجوج وهم ولد يافث بن نوح عليه السلام وأرضهم من آخر بلاد الشمال متصلة ببحر الظلمات ومسيرة أربعة عشر عاما ساكنها السودان مما يلى المغرب الاعلى ممتدا على بحر الظلمات فيبقى من المائة عام مسيرة ستة اعوام هى بلاد الغرب ومصر والشام والحجاز واليمن والعراق والعرب والترك والخزر والافرنج والصين والهند والحبشة والصقالبة والروم الرومية الكبرى وغير ذلك وسائر بلاد الكفار مما يطول ذكر تفصيله والمسلمون بينهم بجزء فافضل جميع الارض المفصلة بهذا التفصيل وغيره مما اختصر ما احتوى عليه مملكة مصر المصرح باسمه فى القرآن العظيم لان حاكمها يحكم على أرفع بقاع الدنيا فى الشرف والجلال وهى الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها وهى مكة زادها الله شرفها والمدينة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام والقدس الشريف فأولاها فى الشرف وأولاها وأرفعها رتبة وأعلاها مكة التى هى أفضل جميع الارض فى طولها والعرض وهى أول بيت وضع للناس وطهر من سائر النقائص والادناس *وأما بلاد الديار المصرية فانها تشتمل على أربعة عشر اقليما بالوجه القبلى

سبعة أقاليم و بالوجه البحرى سبعة أقاليم والمستفاض على ألسنة
الناس ان بكل اقليم ثلاثمائة وستين بلدا وعدة مدن بها ولاة أمور
* فأما الوجه القبلى فابتداؤه من مصر والجيزة وانتهاؤه الجنادل
نحو شهرين فأول اقاليمه الجيزة وهى ذات برين برغربى وبرشرقى
والنيل جار بينهما فالغربى أعرض من الشرقى وبقى ستة أقاليم
منها اقليم بالشرق وهو اقليم الاطفيحية وبه اطفيح والاقاليم التى
بالبر الغربى بعد اقليم الجيزة اقليم الفيوم وبحره يجرى دائما ويقسم
الماء منه فى مقاسم مثل دمشق وفيه مدينة كبيرة تعرف بسيدنا
يوسف عليه السلام غالبها خراب جار بوسطها البحر المذكور وموضع
منبعه مكان يعرف بالمنشية وانتهاؤه الى بحيرة مالحة وبه تماسيح
كثيرة وبه أشجار وأثمار كثيرة * ويلى ذلك اقليم البهنساوية وبه
مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة ويلى ذلك اقليم الاشمونين وبه
مدينتان احداهما الاشمونين المنسوب اليها الاقليم المذكور
والاخرى منية ابن خصيب ويلى ذلك اقليم الاسيوطية أعظم مدنه
مدينة أسيوط وهى مدينة كبيرة تضاهى مدينة غزة وبه أيضا مدينة
منفلوط التى تعمل فيها النيدة الموصوفة ومنفرد من الاقليم
المذكور نيف وثلاثون بلدا مضافة الى منفلوط ذكر واحد من
الثقات انه اطلع على متحصل الغلال المستخرجة من البلاد
المذكورة الموضوعة فى الشون السلطانية بمدينة منفلوط ألف
ألف ومائة وخمسين ألف اردب * ويلى ذلك من الجهة الغربية
اقليم الواحات وبه مدينة تعرف بالواح وبين الاقليم المذكور
واقليم اسيوط منقطع رمال ومحاجر مسيرة ثلاثة أيام وغربى

الاقليم المذكور بلاد النوبة ولافائدة فى ذكرها لكونها
خارجة عن الديار المصرية ويلى اقليم الاسيوطية أيضا من جهة
الجنوب اقليم القوصية به مدينة قوص وهى مدينة عظيمة جدا
وهى أعظم مدن الصعيد يرد اليها التجار من البلاد الجنوبية
الواصلون فى المراكب من البحر الملح الى القصير تجاه جدة وبه
أيضا مدينة اسوان وهى مدينة كبيرة كثيرة الثمر ويلى ذلك بلاد
الكنوز وهى متسعة وأهله سمران ولم تكن تتضمن الدواوين
الشريفة ويلى ذلك الجنادل وهى مكان انحدار النيل من جبال صم
وهى آخر الديار المصرية * وبالصعيد مدن خراب من جملتها انصنه بها
عمد كثيرة جدا ويقال ان بالصعيد من الكنائس والديورة قريب
ألف وغالب أهله نصارى * وبالصعيد اهرام وعددها ثمانية عشر
هرما الهرم مثلث الوجوه من ذلك ثلاثة اهرام مقابلة مصر
المحروسة طول أحدها خمسمائة ذراع وعرضه من أسفل كذلك
وكل حجر منها طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع اصطنعه
أهل ذلك الزمان لاجل الطوفان وفيه من العجائب ما يطول شرحه
وأما الوجه البحرى فهو كل ما كان من الديار المصرية الى سواحل
البحر المحيط * فاول ذلك اقليم القليوبية وبه مدينة قليوب وهى
مدينة كبيرة غالبها خراب ويلى ذلك اقليم الشرقية وبه ثلاث مدن
الخانكة وبلبيس والصالحية وأما مدينة قطيا فليست من الاقاليم
وانما هى بمفردها وهى مزم الدرب حتى لايمكن التوصل الى الديار
المصرية الامنها وبها حرسية وبها نخل كثيرة ولها مينة وهى
الطينة على شط البحر المحيط وعمر هنالك الملك الاشرف تغمده الله

برهمتنه بر جين يصب من هنالك فرقة من بحر النيل تعرف ببنى منجة وباقليم الشرقية المذكور بلدان كثيرة ليس لها أسماء فى الديوان الشريف وانما عمرها العربان فى أرض سبخة لا ينتفع بها فى الزرع وانما استوطنوها لكونهم بادية ويلى ذلك من الجهة الشمالية اقليم الدقهلية والمرتاحية وغالب الناس يظنون انهما اقليمان لاجتماع الاسمين وبينهما بحر حلو يعرف بالمنزلة فرقة من النيل وبهذا الاقليم أربع مدن مدينة المنصورة ومدينة اشمون الرمان ومدينة فارسكور ومدينة المنزلة فاما المنزلة وفارسكور فتحصلهما فى كل سنة ينيف عن سبعين ألف دينار لديوان المفرد الشريف وهو اقليم حسن حتى ان العارفين فضلوه على جميع أقاليم الديار المصرية وبها طيور حسنة الهيئة شهية الالوان مطوقة بالسواد حمر المناقير والرجلين تسمى بالدراج ولها أصوات شجية تقول فى تصويتها مفسرا يفهمه أهل ذلك الاقليم طاب دقيق السبل سبحان القديم الازل حتى انه من سمع تلك الارض ولم يكن سلكها قط ظن انه صوت انسان ومن جملة خواص هذا الاقليم ان غالب أهل بلاده يزرعون القصب والقلقاس والارز على الماء السائح لان البحر المقدم ذكره أعلى من الارض وبالقرب من مدينة المنزلة مملاحة عظيمة يجلب منها الى الديار المصرية ويجلب من هذا الاقليم رمان كثير جدا ويلى ذلك من جهة الشمال ثغر دمياط المحروس وهو ثغر جليل يمشى فى بساتينه من أولها الى ان يصل المدينة بريد والثغر المذكور على جانب بحر النيل بالقرب من البحر المحيط وهو من أعظم المين يرد اليه كثير من المراكب وبه من الاسماك والطيور

مالا يوجد في غيره قط حتى انه مضمن ويباع صيفا وشتاء ويجلب منه
الى سائر الاقاليم بالديار المصرية طريا وقديدا وهنالك برجان أحدهما
بالثغر المذكور والآخر تجاه ذلك بالبر الغربي على بحر النيل
والمراكب الواردة تدخل من بين البرجين وهنالك سلسلة موضوعة
لئلا يدخل مركب الا باذن صاحب الثغر ويعمل فيه سكر كثير
يجلب منه الى سائر الاقاليم وأوصاف هذا يطول شرحها
واختصرته خوفا من الاطالة ويلي ذلك من جهة الغرب قاطع النيل
اقليم الغربية وبه أربع مدن المحلة والنحرارية وفوة وسمنود وبها
من البلدان الكبار التي تضاهي المدن ثلاثون بلدا كل واحدة منها
خراجها في السنة اثنا عشر ألف دينار وبهذا الاقليم ما ينيف عن
خمسمائة وأربعين قرية من جملتها بلاد السخاوية وكثير من الناس
يظن انها اقليم بمفردها وهي من جملة ذلك وبلاد المزاحمتين عديدة
يظن انها اقليم بمفردها وهي أيضا من الغربية وهذا الاقليم هو
أجل اقاليم الديار المصرية ويلي ذلك اقليم المنوفية وهو في المقام
الثاني من الغربية ومدينة منوف وهي مدينة كبيرة جدا غالبها
خراب يقال ان ملك فرعون كان أولا بها ومن جملتها جزيرة بني نصر
يفترق عليها بحر النيل وبها مدينة أبيار ويلي ذلك وبقية الغربية
قاطع البحر اقليم البحيرة وهو اقليم متسع جدا وبه مدينة دمنهور
وهي مدينة كبيرة وبالبحيرة مكان يعرف بالطرانة وبها مكان
الاطرون وهو الذي تستعمله الحياكون في القماش وبه عربان كثيرة
لا يضبط عددهم حكى شخص من الطاعنين في السن انه وقعت
مقتلة بين عربان ذلك الاقليم فقتل فيها ما ينيف عن ثلاثة آلاف نفر

(من الباب الرابع في وصف الصاحب الوزير)

قد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به في التدبير قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي الآية وقال تعالى وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا قال الواحدي في تفسيره أي ملجأ ومعينا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي شيأ من أمور المسلمين وأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه * واختلف في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه أحدها أنه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك اثقاله * وثانيها انه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أي لا ملجأ فالملك يرجع الى رأي الوزير ومعرفته وتدبيره * وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام اشدد به أزري أي قو به ظهري فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر * وروى ان سبب تلقب الوزير بالصاحب أن أبا القاسم اسمعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد الطالقاني كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكان يصحب أبا الفضل بن العماد فقيل له صاحب ابن العماد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي عليه ثم تسمى به كل من ولي الوزارة بعده وكان هذا الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة ثم وزير أخيه فخر الدولة وحكى انه كان لبعض الخلفاء وزير وكان ألثغ لا يحسن أن يتلفظ بالراء وكان يستعمل الالفاظ التي تغنيه عن ذلك باحسن

عبارة بحيث لا يظهر لاحد عيبه ولم يشعر به الخليفة مدة وزارته
حتى اجتمعت الحساد وعرّفوا الخليفة بذلك واجتهدوا الى ان امره
الخليفة بكتابة كتاب من مضمونه ان الامراء بالبصرة يحفرون نهرا
عربه الفارس برمحه فكتبه فقال له الخليفة اقرأه فقرأ الوكلاء
بالفيحاء يجدولون جدولا يخطو به الكميت بقدامه فاستظرف الخليفة
منه ذلك وكان اسمه نجما وكان للخليفة ولد اسمه يحيى وكانوا اتهموا
الوزير به لمحبته له وكان مكتوبا على فص خاتم الوزير أحرف فاجتهدت
الحساد ان الخليفة يقرأ ما فى خاتمه فوجد مكتوبا فيه نجم عسق يحيى
فأمر بقتله فسأله التمثل بين يديه فلما تمثل بين يدى الخليفة سأله عن
ذنبه فقال له ما هذا المكتوب فى خاتمك فأجابه هو اسم الله الاعظم
من القرآن فقال له اقرأه فقرأه حم عسق نجى فاستحسنه وخلع
عليه واعتذر اليه تم

(كتاب السلطان الملك الاشرف برسباى لمرزا شاه رخ بن تمر)

الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون أما بعد حمد الله والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين والرضا عن السادة
الصحابة أجمعين فقد وقفنا على ما أتحفتمونا من ضمن كتابكم
المعوج كلامه ففهمنا شرحه ونظامه فلم نجد لما نظمتموه من
الكلام زبدة غير انكم تختمونه بالفاظ أعجمية كالفاظ
المرتدة لكونكم تنكرون علينا فى الاحكام ونحن أعدل ملوك
الاسلام نحن نأمر بالمعروف ونفعله وننهى عن المنكر ونبطله
لا تأخذنا فى الله لومة لائم ومنار شريعة الحق لدينا قائم نفرق بين

الحلال والحرام وتتبع سنة محمد عليه السلام نوفى ذوى
الحقوق حقوقهم من الاحكام ونسوى بين الشريف والمشروف
من الاخصام فى الوقوف والنظر والكلام نحن الذين أنزل
على نبينا القرآن المجيد وتدبرنا مافيه من الوعد والوعيد ونحن
خدام حرمى مكة والمدينة وحرم سيدنا الخليل عليه السلام
وبيت المقدس الشريف ذى السكينه ومن سجيتنا وطويتنا
السعى فى عمارة البلدان وتخفيف الوطأة عن الرعايا ونسدى اليهم
جزيل الاحسان فنعمر السبل للمارة جهدنا ونحفظ الثغور
من الاعداء بعددنا وخيولنا وعددنا مدا ومين على الغزاة والرباط
بثغر سكندرية وترابلس ودمياط أفمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون قد ملكنا الله تعالى بنيتنا المباركة وقلوبنا القوية
وهمتنا العلية وتركنا المقشية ورماحنا الخطية وسيوفنا
الهندية بلاد الافقسية وأسرنا الملك بها وسائر الرعية
وأحضروا السناجق الردية وبعناهم كبيع العبيد فى الاسواق
بعد ان ضربنا من كثير منهم الاعناق ولو ترون ماحل بهم منا فى البر
والبحر لاخذتم لاتفتكم العجب العجاب فى الدهر لاسيما وقد أتتنا
ملوك البلاد من سائر الاقطار مثل ملك هرمز وسلطان الحصن
وابن قرمان ملوك الاقطار وسلطان مكة المشرفة وسلطان اليمن
وسلطان المغرب والتكرور وملك قبرس المعدوم حضروا
باجمعهم الينا ووجب اكرامهم علينا فنالهم الامن أكرمناه
وبعد الكرامة الى بلاده أعدناه فهذه ان شاء الله سجيتنا وطويتنا
أيها المبطلون لمثل هذا فليعمل العاملون وقد أتحفتمونا برسل

اساؤا

أساؤا فى البلاغ كثيرا كان فى عقولهم خلل بل عقل الرسول يدل
على عقل مرسله كبيرا كان أو صغيرا أزعمتم فى مراسلتكم بانكم
أهل الفضل والعدل لديكم ناهج وأنتم المبتدعون خوارج أبناء
الخوارج نحن نحكم عن الله ورسوله وكل منكم يحكم برأيه
وسوله وقد أتى أبوكم البلاد حين حكم وهتك ما استتر من حريم
العباد وظلم وكانكم قستمونا بمن تقدم من الملوك الاطفال حيث
قدم أبوكم الشام فلم يجدوا والله لحربكم مجالا انما ذلك والله بخلف
الاكابر ولو رأى الاصاغر فوالله لو لبثوا ليلة فرارهم
لفر أبوكم بعسكره ناكصا على عقبيه لكن لم يسلوا من رأى شرارهم
ولسنا ان شاء الله تعالى ممن تقدرون عليهم وقد وعدنا فى كتاب الله
العزيز بالنصر لقوله جل ذكره ثم جعلنا لكم الكرة عليهم فلو
تنظرون الى الفرسان من رماحنا حين يحملون بالرماح لطارت
عقولكم ولو جلت قلوبكم ولذهبت منكم الالوان ولزورت
منكم الاحداق ولدمعت منكم الآماق ولرجعتم القهقرى
والتفت الساق بالساق ألا وقد أنكرتم علينا بما ليس فينا ولا قبل
عنا من القدم فنحن أحق بالانكار عليكم منكم وعلى أبيكم
الاقدم اذ تشبهتم به فى الافعال والاحوال لكن من تشبه بأبيه
فما ظلم فلا تظنوا أنكم بكثرة سوادكم تهابون أو بركوب غالب
جندكم بالسروج على الخيل لا تعابون فليس عساكركم فى الآفاق
مسمية وليس لها بمقام الحروب رفقة ولا طوية ولقد اطلعنا على
عددكم ولم نكترث ان شاء الله تعالى بعددكم ولم نتأثر بمشاكم على
قراباق ولو سد عددكم الآفاق فانا وعدنا بالنصر عند الصبر

لقوله جل ذكره كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وسيعلم الجبان حاله عند معترك القنا

وان يلق سمر القنا فالفنا * وقد اقتسمتم منا التمكين فى كسوة البيت الحرام تزعمون ان ما بايديكم من المتاع حلال وهو فى الحقيقة حرام انما ذلك والله كسوة البيت الحرام من خاص مالنا الحلال نكتسب به الحسنة فى كل سنة ومما لا يخفى عليكم ولا على سائر الانام أن مملكتنا هى أشرف ممالك الاسلام وقد اختصرنا فى كتابنا عن التطويل فانكم ليس محل الكلام وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (انتهى الكتاب)

ومما حكى الشيخ تقى الدين المقريزى فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك فى حوادث شهر رمضان من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة أنه قال وفى ثالث عشر منه قدم رجل ادعى انه شريف اسمه هاشم بكتاب شاه رخ بن تيمور ومعه هدية عدة قطع فيروزج ولم يختم الكتاب ولا كتب فيه بسملة بل ابتدأه بقوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وخاطب السلطان فيه بامير برسباى وأبرق وأرعد ومما حكاه أيضا فى حوادث شهر جمادى الآخرة من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة انه قال وفى ثامن عشر منه وصل الامير اقطوه المتوجه فى الرسالة الى شاه رخ وقدم من الغد شيخ صفا رسول شاه رخ بكتابه فانزل وأجرى له ما يليق به وفى هذا الشهر قدمت رسل اصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداذ الى القان معين الدين شاه رخ وهو على قراباغ بدخوله فى طاعته

وانه من جملة الخدم فأقامت رسله ثلاثين يوما لا تصل الى الثان
ثم أجابه ينكر عليه خراب بلاده ويأمره بعمارتها وان لم يعمرها
والا والا وأمهله سنة وكان اصبهان قد بعث بهدية فلم يعوضه عنها
شيأ وانما جهز له خلعة وتقليدا وخلع على رسله قال وفى ثانيه يعنى
شهر رجب من السنة المذكورة أحضر صفا رسول شاه رخ ومن
معه وقرئ كتابه فاذا هو يتضمن أن يخطب وتضرب السكة باسمه
وأخرج صفا خلعة بنيابة مصر ومعها تاج ليلبس السلطان ذلك
وخوطب بكلام لم يسع معه صبر فضرب ضربا مبرحا وألقى فى بركة ماء
وكان يوما شديد البرد ثم أنزلوا وأمر بنفيهم فساروا فى البحر الى مكة
فوصلوها وأقاموا بها بقية السنة وحجوا وفى رابعه كتب الى مراد
ابن عثمان متملك بلاد الروم بان يكون مع السلطان على حرب شاه رخ
وكتب الى بلاد الشام بتجهيزهم الاقامات للسفر قال وفى رابعه
يعنى رابع شهر شوال من سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة قدم
كتاب الخان شاه رخ ملك المشرق يتضمن انه عازم على زيارة القدس
الشريف وأرعد فيه وأبرق وأنكر أخذ المكوس من التجار
بجدة هذا ما حكاه الشيخ المذكور

(لمع من كتب الدروز وهم أصحاب(١) حمزة بن على)

هذه نبذة من كتب الدروز الذين يسمون أنفسهم الموحدين
ويقال لهم أيضا الدرزية وهم أصحاب حمزة بن على القائلون بعبادة
الحاكم بأمر الله خليفة مصر من آل عبيد الله المهدى وهذا
ما وجدته مكتوبا عند رأس كتاب من كتبهم يتضمن الجزء الاول

(١) هم قوم كفار يعتقدون فى الحاكم بأمر الله الالوهية لهم عقائد زائغة وأقاويل لهم هوس لعنهم الله

من الرسائل والسجلات التي ألفها حمزة بن علي المذكور وغيره من مشايخهم

(ميلاد مولانا الحاكم)

مولانا الحاكم بن اسمعيل من سلالة علي بن أبي طالب وأمه من سلالة فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله و ولد بمصر ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة من الهجرة وولاه أبوه في شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وتولى الخلافة يوم الخميس سلخ رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وكانت مدة خلافته في الملك خمسا وعشرين سنة وغاب ليلة الاثنين السابع وعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وكانت مدة اقامته في هذا العالم من ميلاده الى غيبته ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وكتب سجلا معظما وعلقه على المشاهد وغاب ونحن منتظرون عودته عن قريب ان شاء فيكون مقلكا على سائر الارض الى أبد الآبدين فأما الذين دعاهم الى توحيده وما قبلوا منه وهم سائر الطوائف والملل فانهم يكونون عنده في الاسر واعطاء الجزية والغيار في كل سنة فاما موحدوه فانهم يكونون مالكين معه الى أبد الآبدين

نبتدئ بعون مولانا الحاكم شرح مذهبنا الدرزي نحن الذين اندرزنا بالايمان بعد نبيه محمد بن عبد الله صاحب الهجرة الاسلامية صلى الله عليه وسلم

(نسخة السجل الذي وجد معلقا على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعاقبة ان تيقظ من وسن الغافلين وانتقل عن جهل الجاهلين
واخلص منه اليقين فبادر بالتوبة الى الله تعالى والى وليه وحجته
على العالمين وخليفته فى أرضه وأمينه على خلقه أمير المؤمنين
واغتنم الفوز مع المتطهرين والمتقين ولم يكذب بيوم الدين وكان
بالغيب من المصدقين به والموقنين واعتقد أن الساعة آتية بغتة
لاريب فيها وان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا عدوان الا على
الظالمين المردة الشياطين الفسقة المارقين وكل حلاف مهين
الناكثين الباغين المفسدين الطاغين أهل الخلاف والمنافقين
المكذبين بيوم الدين المغضوب عليهم والضالين والحمد لله حمد
الشاكرين حمد الانفاد لا آخره ابد الآبدين وصلى الله على سيد
المرسلين محمد المبعوث بالفرق الى الخلق أجمعين ومبشرا ونذيرا
بأئمة من ذريته هادين مهديين كرام كاتبين شهداء على العالمين
ليبينوا للناس ما هم فيه مختلفون وعنه يتساءلون ويرشدوهم
الى النبأ العظيم والصراط المستقيم سلام الله السنى السامى
عليهم الى يوم الدين أما بعد أيها الناس فقد سبق اليكم من
الوعد والوعظ والوعيد من ولى أمركم وامام عصركم وخلف
أنبيائكم وحجة بارئكم وخليفته الشاهد عليكم بموبقاتكم
وجميع ما اقترفتم فيه من الاعذار والانذار ما فيه بلاغ لمن سمع
وأطاع واهتدى وجاهد نفسه عن الهوى وآثر الآخرة على
الدنيا وأنتم مع ذلك فى وادى الجهالة تسبحون وفى تيه الضلالة
تخوضون وتلعبون حتى تلاقوا يومكم الذى كنتم به توعدون

كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقد علمتم معشر الكافة ان جميع
ما ورثه الله تعالى لوليه وخليفته في أرضه أمير المؤمنين سلام
الله عليه من النعم الظاهرة والباطنة قد خوله امام عصركم
لشريفكم ومشروفكم من خاصتكم وعامتكم من ظاهر ذلك
وباطنه على الاكثار والامكان بفضله وكرمه حسبما رأى سلام الله
عليه ولم يبخل بجزيل عطائه وهناكم منة منه مع ذلك ما أوجبه
الله تعالى له عليكم في كتابه من الحق فيما ملكته أيمانكم
ولم يشارككم في شيء من أحوال هذه الدنيا نزاهة عنها ورفضا منه لها
على مقداره ومكنته لامر سبق في حكمته وهو سلام الله عليه أعلم به
فأصبحتم وقد حزتم من فضله وجزيل عطائه مالم ينل مثله بشر من
الماضين من أسلافكم ولا أدرك قوة انبعاثها أحد من الامم الذين
خلوا من قبلكم في متقدم الازمان والاعصار ولم تنالوا ذلك
من ولي الله باستحقاق ولا بعمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بل منة
منه عليكم ولطفا بكم ورأفة ورحمة واختبار ليبلوكم أيكم
أحسن عملا ولتعرفوا قدر ما خصكم به في عصره من نعمته
وحسن منته وجميل لطفه وعظيم فضله واحسانه دون من قد
سلف من قبلكم فاشكروا الله ووليه كثيرا على ما خولكم من
فضله ولعلكم تشكرون وتعملون عملا يرضى ويضاهي اعمال
الامم السالفين أضعافا حسب مضاعفته لكم ولي الله في عصره من
نعمه الظاهرة الجليلة من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام الى غير ذلك من الارزاق والاقطاع

والضياع

والضياع وغيرها من أعراض الدنيا على اختلاف أصناف احسانه
ورقى خاصتكم وعامتكم الى الدرجات العلية والرتب السنية
لتقفوا مسالك أولى الالباب وأمركم وشرفكم باحسن الالقاب
وملككم فى الارض مشرقا ومغربا وسهلا وجبلا وبرا وبحرا فانتم
ملوكها وسلاطينها وجباة أموالها تفك لكم عادة ولى الله الرقاب
وتنقاد اليكم الوفود والاحزاب وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فعشتم فى فضل أمير المؤمنين سلام الله عليه رغدا بغير عمل وترجون
من بعد ذلك حسن مآب ومن نعمه الباطنة عليكم تمسككم
فى ظاهر أمركم بموالاته تعتزون بها فى دنياكم وترجون بها نجاتكم
والفوز فى آخرتكم فقد تمنون على الله وعلى وليه بايمانكم بل الله
يمن عليكم أن هداكم للايمان فانتم متظاهرون بالطاعة متمسكون
بالمعصية ولو استقمتم على الطريقة الوسطى لاسقاكم الله ماء
غدقا ثم من نعمه الباطنة عليكم احياؤه لسنن الاسلام والايمان
التى هى الدين عند الله وبه شرفتم وظهرتم فى عصره على جميع
المذاهب والاديان وميزكم عن عبدة الاوثان وابانهم عنكم بالذلة
والحرمان وهدم كنائسهم ومعالم أديانهم وقد كانت قديمة من قدم
الازمان وانقادت الذمة اليكم طوعا وكرها فدخلوا فى دين الله أفواجا
وبنى الجوامع وشيدها وعمر المساجد وزخرفها وأقام الصلاة
فى أوقاتها والزكاة فى حقها وواجباتها وأقام الحج والجهاد وعمر
بيت الله الحرام وأقام دعائم الاسلام وفتح بيوت أمواله وأنفق
فى سبيله وخفر الحاج بعساكره وحفر الآبار وامن السبيل
والاقطار وعمر السقايات وأخرج على الكافة الصدقات وستر

العورات وترك الظلامات ورفع عن خاصتكم وعامتكم الرسوم الواجبات التي جعلها الله تعالى له عليكم من المفترضات وقسم الارض على الكافة شبراشبرا وداولها بين الناس احيانا ودهرا وفتح لكم أبواب دعوته وأيدكم بما خصه الله من حكمته ليهديكم بها الى رحمته ويحثكم بها على طاعته وطاعة رسوله وأوليائه عليهم السلام لتبلغوا مبالغ الصالحين فشنئتم العلم والحكمة وكفرتم الفضل والنعمة ونبذتم ذلك وراء ظهوركم وآثرتم عليه الدنيا كما آثرها قبلكم بنو اسرائيل في قصة موسى عليه السلام فلم يجبركم ولى الله عليه السلام وغلق باب دعوته وأظهر لكم الحكمة وفتح لكم خارج قصره دار علم حوت من جميع علوم الدين وآدابه وفقه الكتاب في الحلال والحرام والقضايا والاحكام مما هو في صحف الاولين صحف ابراهيم وموسى صلى الله عليهم أجمعين وأمدكم بالاوراق والارزاق والحبر والاقلام لتدركوا بذلك ما تحظون به وتستبصرون وبه من الجهل تفوزون وقد كنتم من قبل ذلك في طلب بعضه تجهدون فرفضتموه وقصرتم وعن جميعه أعرضتم اعراض المضلين ولم يزدكم ذلك الا فرارا ومال بكم الهوى الى الموبقات ومكنتم من اكتساب السيآت ورفضتم العلم وأظهرتم الجهل وكثر بغيكم ومرحكم على الارض حتى كادلها ان تضج الى الله تعالى فيكم من كثرة جوركم ومرحكم عليها وولى الله سلام الله عليه مكافح لها فيكم رجاء أن تتيقظ خاصتكم أو تستفيق من السكر والجهل عامتكم فما ازددتم الا طغيانا وعصيانا واختلافا تتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وعدو الله وعدو أمير

المؤمنين قد قصر عن الفساد يده مخافة من سطوات ولي الله ورضي منه بالمسالمة والمهادنة حتى ليس لامير المؤمنين سلام الله عليه عدو يجاهده ولا ضد يعانده والكل من هيبته خائف وجل وأنتم معشر الخاص والعام بحضرته تضمكم دولته وتشملكم ولايته وتلزمكم طاعته وأنتم مع ما تقدم ذكره من تعديد مساويكم متحادقون متعاندون متزاحفون يجاهد بعضكم بعضا كالروم والخزر جرأة على الله بغير مخافة منه ولا ترقب ولا ينهاكم عن سفك الدماء وهتك الحريم دين من الله ولا وقار من امامكم ولا يقين قد غلب عليكم الجهل فلن ترجوا الله وقارا ولن تقولوا ان امام عصركم واحد وان الاسلام والايمان قد شملكم وجمعكم تحت طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة وليه أمير المؤمنين سلام الله عليه فانا لله وانا اليه راجعون فاى نازلة هي اكبر منها وأى شماتة للعدو ويلكم أعظم من مثلها لقد أصبتم معشر الناس في أنفسكم وأديانكم وأصيب فيكم ولى الله أمير المؤمنين سلام الله عليه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أفأمنتم أيها الغافلون أن يصيبكم ما أصاب من كان قبلكم من أصحاب الايكة وقوم تبع الم تسمعوا قول الله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وقوله تعالى ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ومثل هذا كثير في كتاب الله عز وجل عما أصاب أهل العناد والخلاف والمنافقين والمفسدين في الارض

فقد غضب الله تعالى ووليه أمير المؤمنين سلام الله عليه من
عظم اسراف الكافة أجمعين ولذلك خرج من أوساطكم وعلامة
سخط ولي الله تدل على سخط الرب تبارك وتعالى فمن دلائل غضب
الامام غلق باب دعوته ورفع مجالس حكمته ونقل جميع
دواوين اوليائه وعبيده من قصره ومنعه عن الكافة سلامه
وقد كان يخرج اليهم من حضرته ومنعه لهم عن الجلوس على
مساطب سقائف حرمه وامتناعه عن الصلاة بهم في الاعياد
وفي شهر رمضان ومنعه المؤذنين ان يسلموا عليه وقت الاذان
ولا يذكروه ومنعه جميع الناس ان يقولوا مولانا ولا يقبلوا له
التراب وذلك مفترض له على جميع أهل طاعته ونهيه جميعهم
عن الترجل له من ظهور الدواب ثم لباسه الصوف على اصناف الوانه
وركوبه الاتان ومنعه اولياءه وعبيده الركوب معه حسب
العادة في موكبه وامتناعه اقامة الحدود على أهل عصره واشياء
كثيرة خفيت عن العالم وهم عن جميع ذلك في غمرة ساهون استحوذ
عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون فقد ترك ولي الله أمير المؤمنين سلام الله
عليه الخلق أجمعين سدى يخوضون ويلعبون في التيه والعمى
الذي آثروه على الهدى كما ترك موسى قومه حتى آن الهلاك ان
يهجم عليهم وهم لا يعلمون وخرج وهم في شك فيه مختلفون مذبذبون
بين ذلك لا الى الحق يطيعون ولا الى ولي الله يرجعون أيها الناس
كلام الله تعالى اوعظ واعظ وبين منه وعظكم بهذه الموعظة من
الفقر والحاجة الى عفو الله تعالى وعفو وليه أمير المؤمنين سلام

الله

الله عليه أعظم منكم فبالنسيان تكون الغفلة وبالغفلة تكون الفتنة وبالفتنة تكون الهلكة وقد قال الله تبارك وتعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقال عز من قائل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال الله تبارك وتعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فالبدار البدار معشر الناس ان وقفتم على براح من الارض يكون أول طريق سلكها أمير المؤمنين سلام الله عليه وقت ان استترت عن أعينكم وتجتمعوا فيها بانفسكم وأولادكم وطهروا قلوبكم واخلصوا نياتكم لله رب العالمين وتوبوا اليه توبة نصوحا وتوسلوا اليه باوجه الوسائل في الصفح عنكم والمغفرة لكم وان يرحمكم بعودة وليه اليكم ويعطف قلبه عليكم فهو رحمة عليكم فالحذر الحذر ان يقفو أحد منكم لامير المؤمنين سلام الله عليه اثرا ولا تكشفوا له خبرا ولا تبرحوا في أول طريق يتوسل بجمعكم كذلك اوانا فاذا اظلت عليكم الرحمة تخرج ولي الله امامكم باختياره راضيا عنكم ظاهرا في أوساطكم فواظبوا على ذلك ليلا ونهارا قبل ان تحق الحاقة وتقرع القارعة ويغلق باب الرحمة ويحل باهل الخلاف والعناد النقمة وقد اعذر من انذر ونصح من قبلكم نفسه وحذر والخطاب لاولي الالباب منكم والتعيين عليهم والمشيئة لله تبارك وتعالى والتوفيق به والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وصدق بكلمات ربه الحسنى وكتبه مولى دولة أمير المؤمنين سلام الله عليه في شهر ذي

القعدة سنة احدى عشرة وأربعمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وسلم وعلى آله الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل تحتفظ اصحاب العمل بهذه الموعظة من المتقين ولا يمنع احد من نسخها وقراءتها نفع الله من وفق للعمل بما فيها من طاعة الله وطاعة وليه أمير المؤمنين سلام الله عليه حرام حرام على من لا ينسخها او يقرأها على التوابين فى جامع اسفل وحرام حرام على من قدر على نسخها او قصر والحمد لله وحده

(السجل المنهى فيه عن الخمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى اعز الاسلام باوليائه المتقين وخص حدوده بمن استحفظه من ائمة دينه وامنائه الميامين وصلى الله على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ان أمير المؤمنين بما قلده الله ووجهه اليه من أمور الدين والدنيا وجعل كلمته فيها السامية العليا مصروف الهمة والرأى والروية الى المحاماة عنهما والمراعاة لنفى خلل يدخل فيهما والرغبة فى اعلاء معالمهما والتوفر على ما يشيد دعائمهما والايثار لما حفظ نظامهما والعناية بما صار من التغيير والانتقاض لكمالهما وتمامهما والله جل وعز معين أمير المؤمنين على ما يرضيه وموفقه لما يزلفه عنده ويحظيه بمنه وقدرته ان أحسن الامور عائدة على الاسلام والمسلمين وأجمعها اصلاحا فى حراسة اصول الدين نهى الكافة عن الالمام بالمسكر واستحسان المناكر من الامر على

المسكر الذي هو مجمع السيئات والقائد الى قبائح الافعال والسوآت وقد أمر أمير المؤمنين وبالله توفيقه بكتب هذا المنشور دايقرأ على الخاص والعام من الاولياء والرعية بالنهي عن التعرض لشرب شئ من المسكر على اختلاف اصنافه واسمائه والوانه وطعومه وكل شراب متأول فيه مما يسكر قليله وكثيره وترك التعرض لشربه والاقوال والفتاوى والنهي عما يتمسك به الرعاع من التاويلات والدعاوى فان أمير المؤمنين قد حظر ذلك بجملة وحرمه ونهى عن المسكر واقتنائه وادخاره والتعرض لعمله واعتصاره حتى تطهر الممالك من سوء آثاره وجعل ذلك امانة في اعناق المخلصين من اوليائه وبيعته عند أهل طاعته ونصحائه ووكل اليهم الفحص عنه وانهاء ما يقفون عليه من أمره وبرأ أمير المؤمنين الى الله عز وجل من تبعة ذلك وغائلته عاجلا وآجلا فيعلم ذلك من أمير المؤمنين ويعمل عليه سائر الاولياء والمؤمنين ومن شملته دعوة الحق من كافة الناس أجمعين وليسارعوا الامتثاله والحذر من تجاوزه فقد قرن أمير المؤمنين باعتداء المرسوم أليم العقاب والتنكل وقبيح الجزاء والتبدل والله حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل وكتب في شهر ذى القعدة سنة أربعمائة والحمد لله وحده وصلواته على رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين وسلامه (تم)

(نسخة ما كتبه القرمطي الى مولانا الحاكم بامر الله أمير المؤمنين عند وصوله الى مصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد فقد وصلنا بالترك الخراسانية والخيل العربية والسيوف الهندية والدروع الداودية والدرق التبتية والرماح الخطية وقد تخف الركاب فتسلم البلد وتكون آمنا على النفس والمال والاهل والولد والسلام فاجابه سلامه علينا اماما ذكرته من خفة ركابك فذلك من قلة صوابك وذلك لامر محتوم فى كتاب معلوم لانا قد نظرنا فى الكتاب المكنون والعلم المخزون ان أرضنا هذه لاجساد كم اجداث وأموالكم واما كنكم لنا ميراث فيجب ان تعلم ان قد أحاط بك البلاء ونزل بك الفناء فما أنت جئت بل الله جاء بك ليظهر معجزه فيك وفى اصحابك وأنا حامد الله على ما منحنى به من اخذ كم على مضى ثمان ساعات من نهار يوم الاثنين حين لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وخاف الله فى الآخرة والاولى وهو حسبنا وكفى واليه بشير كل من دعا (تم)

(ميثاق ولى الزمان)

توكلت على مولانا الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن فلان اقرارا أوجبه على نفسه واشهد به على روحه فى صحة من عقله وبدنه وجواز أمره طائعا غير مكره ولا مجبر أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيأ غير طاعة مولانا الحاكم وانه لا يشرك فى طاعته أحدا مضى أو حضر أو ينتظر وانه قد سلم

روحه وجسمه وماله وولده وجميع مايملكه لمولانا الحاكم ورضى بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم الذي كتبه على نفسه وأشهد به على روحه أو أشار به الى غيره أو خالف شيأ من أوامره كان بريئا من البارئ المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من الله جل ذكره وكتبه في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من السنين عبد مولانا ومملوكه حمزة بن علي ابن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا وشدة سلطانه

(شرط الامام صاحب الكشف)

توكلت على الله جل ذكره والحمد لمنشئ الحق ومؤيده وقاطع الباطل بالحق ومذل أهله ومبدده ومؤيد اوليائه وعبيده وماحق الجحدة الكافرين وعندته الذين كفروا بنعمته الكاملة وبركاته الشاملة ومواده المترادفة المتواصلة وصلواته على من اختاره من عبيده القائم بكشف السر عن أمره ونهيه وموضح الطريق للمستبصرين وموهن كيد أهل الضلال الخائبين أعني قائم الزمان وعبيده المستخدمين من العبد المختار الى كافة اخوانه الدعاة الى توحيد المولى الاله الجبار والمعدلين للقضاء بين الموحدين الابرار والعرفاء الانصار قد وصلني أطال المولى بقاء سادتي واخوتي الشيوخ أن الاحكام في فرائض الرضا والتسليم في سبب زواج الموحدين والالفة بين الاخوان والاخوات

مرتجة عليهم وان لاعلم لهم بما توجبه شروط الديانة وكيف تكون المصاحبة بينهم فيجب ان تعلموا ساداتى ان شروط الرضا والتسليم ليس تجرى مجرى غيرها من الزواج لان الرضا والتسليم شئ من أمور البارى سبحانه فمن نقضها فقد خالف أمره ولا نا جل ذكره والذى توجبه شروط الديانة انه اذا تسلم احد الموحدين بعض اخواته الموحدات فيساويها بنفسه وينصفها من جميع مافى يده فان اوجب الحال فرقة بينهما فانهما كان المتعدى على الآخر (٣) فان كانت المرأة خارجة عن طاعة زوجها وعلم ان فيه القوة والانصاف لها وكان لابد للمرأة من فرقة الرجل فلها من جميع ما تملكه النصف اذا عرف الثقات تعديها عليه وانصافه لها وان عرف الثقات انه حائف عليها وخرجت من أجل ضرورة خرجت بجميع ما تملكه وليس له معها شئ فى مالها وان كانت هى المخالفة له وليست تدخل من تحت طريقته فله النصف من جميع ما تملكه ولو أنه ثوبها الذى فى عنقها وان اختار الرجل فرقتها باختياره بلا ذنب لها اليه فلها النصف من كل ما يملكه من ثوب ورحل وفضة وذهب ودواب وما احاطت به يده لموضع الانصاف والعدل فليحقق السادة هذه المكاتبة ويعملوا بها وبهذا الشرط فهكذا يجرى الحال بالعدل والانصاف والسلام عليكم والحمد لله وحده لا شريك له (تم)

(الرسالة التى أرسلت الى ولى العهد عهد المسلمين عبد الرحيم ابن الياس)

توكلت على الله جل ذكره وبه أستعين في جميع الامور من عبد أمير المؤمنين ومملوكه هادى المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا أمير المؤمنين الى ولى العهد عهد المسلمين وخليفة أمير المؤمنين أما بعد فقد حان لولى العهد ان يكشف القناع ويعرف لم تسمى ابن عم أمير المؤمنين ولم يكن له ابن عم وانما سمى بهذا الاسم ولقبك بهذا اللقب فى الزمن الماضى الذى خدمت فيه وتوليت عهد المسلمين وتسميت بزعمك بالشكلية والقرابة فاراد مولانا ان يعرفك منزلتك فى هذا الوقت كيما تطلب العفو عما مضى والآن يجب على ولى العهد التضرع الى مولانا بان يعفو عنه ويمحو اسمه من الخط والمكاتبات والمخاطبات ولا يقول ابن عم أمير المؤمنين واحسان مولانا عليك قديما وحديثا فى كل عصر وزمان وقد قلدك وثبتت الحجة عليك والآن فقد استدارت الادوار وطلع شمس الشموس وقمر الاقمار وأوجب زماننا هذا كشف الاستار ومحض التوحيد والاظهار وعبادة مولانا الواحد القهار وقد أديت الهداية ونصحتك بالكناية بان تظهر طاعة مولانا على رؤس الاشهاد وتقر بالمسائل انك عبده ومملوكه ولا تتقرب منه بنسب بل شرفت بخدمة النسب اذا نصحت مولاك فى طاعته وان لم تنصح وتقر له بالعبودية فلا حسب ولا نسب ومن قاله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد أعذر الهادى ونادى المنادى وما على الرسول الا البلاغ المبين والسلام عليك ورحمة المولى وبركاته تمت الرسالة والحمد لله وحده وهو حسبي ونعم النصير المعين

(رسالة خمار بن جيش السليماني العكاوي)

توكلت على الله الملك الحق المبين جل ذكره وبه استعين في جميع الامور من عبد أمير المؤمنين ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف امير المؤمنين الى ابليس الابلاس ومعدن الشرك والوسواس النغل اللعين والمسيخ الحزين خمار بن جيش السليماني العكاوي أما بعد يا خمار ان كان اسمك في الاصل حارث ابليس لا يغرك امهالك في الدنيا وما أنت عليه من كفرك وشركك وكذبك على مولانا العزيز علينا سلامه ورحمته وتشبهك بالمولى الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته علينا سلامه ثم تزعم بلغتك انك أخو من لا تدركه الاوهام والخواطر وتستقر بذلك على شركك وجلبت على العالم الغبي المعكوس بخيلك ورجلك فالحذر الحذر على نفسك مما أنت عليه وانظر لروحك قبل قيامي بالسيف على جميع المشركين وأنت أولهم فالحذر الحذر واطلب العفو قبل السفر واعلم حق مولانا أمير المؤمنين وشدة سلطانه واخش عذاب نيرانه وارجع عما أنت عليه من كفرك وشركك وكن أنت عوض الجواب تجيء مع رسلي وغلماني الى معدن الدين والتوحيد بامر أمير المؤمنين ونعرض عليك الايمان بمولانا والاقرار بوحدانيته وتسال العفو عما جنيت من كفرك واشركت روحك بمولانا جل ذكره ولا كرامة ولا عزازة ولا مسرة حتى تسأل وتتضرع الى مولانا بان يعفو عن عظيم كفرك وشركك وان طلبت بهذا الاسم والدعوى

حطام الدنيا فانا أسأل مولانا ان يعطيك ما طلبته من الحطام وان
أبيت ذلك واستكبرت فاخرج منها فانك رجيم وعليك اللعنة
الى يوم الدين وهو يوم قيامي بالسيف على جميع المشركين
ثم أمرت العبيد بضربك بالسياط واشهارك بالقاهرة المقدسة
وشوارع مصر وازقتها فان تبت ورجعت عن قولك والا أمرت
العبيد بسلخك وحشوت سلخك تبنا وصلبتك على باب زويلة
وباب الفتوح امنظر شيعتك ومحبوك فضيحتك عند أمير المؤمنين
ونصلح بقتلك العباد ونهد البلاد ثم نبتدى بمن هو مثلك فنقتلهم
قتل الكلاب وأقواما آخرين فى العذاب حتى يؤدوا الجالية
وهم صاغرون وذلك بقوة مولانا لا شريك له وهو حسبى ونعم
النصير المعين

(الرسالة المنفذة الى القاضى)

توكلت على الملك الحق المبين جل ذكره وبه أستعين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من عبد أمير المؤمنين ومملوكه حمزة بن على بن أحمد هادى
المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة
سلطانه الى أحمد بن محمد بن العوام الملقب بقاضى القضاة أما بعد
فقد تقدمت لنا اليك رسالة نسألك عن معرفتك بنفسك فقصرت
عن الاجابة قبلة علم منك بالحق واهتدائك به وكيف يجوز لك ان تدعى
هذا الاسم الجليل وهو قاضى القضاة وليس لك علم بحقائق القضايا
والاحكام فقد صح بانك مدع لما أنت فيه فيجب عليك ان تعلم

نفسك وتدبيرها فان كنت قد جهلتها فانت فرعون الزمان وفعالك
لاحق بعثمان بن عفان فيجب عليك ان تقلع عما أنت عليه وتتبع
سير أصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر وتزيل قلنسوة البياض عن رأسك
والعمامة والطيلسان وتلبس دنية طويلة سوداء بشقائق صفر
طوال مدلاة على صدرك وتلبس دراعة بلا جيب بل تكون
مشقوقة الصدر وتكون مرقعة بالاحمر والاصفر والاديم الاسود
الطائفي وتكون قصيرة عليك لتلحق في الشكل بعمر بن الخطاب
ويكون لك درة على فخذك لتقيم بها الحدود على من تجب عليه
وأنت جالس في الجامع ويكون لك في كل سوق صاحب يتزيا
بزيك وبيده درة يقيم بها في سوقه الحدود على من وجبت عليه
مثل الزاني والسارق والقاذف وشارب الخمر ممن هو من أهل ملتك
وتكون تتولى الخطبة بنفسك وتطلع على المنبر بلا سيف تتقلده
ويكون مركوبك وجيئتك من دارك الى الجامع وأنت ماش حافيا
لتكون في ذلك لاحقا بأصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر واياك
ثم اياك ان تنظر لموحد في حكم لا أنت ولا عادلتك في شهادة نكاح
ولا طلاق ولا وثيقة ولا عتق ولا وصية ومن جلس بين يديك على
حكم فتسأل عنه ان يكون موحدا فترسله الى مع رجالتك لا حكم
أنا عليه حكم الشريعة الروحانية التي اطلقها أمير المؤمنين
سلامه علينا فانظر لنفسك فقد اعذرتك مرة بعد أخرى وانذرتك
وكتبه في شهر ربيع الاول من سنة عبد مولانا ومملوكه
هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا أمير المؤمنين
حفظه وهو حسبي ونعم النصير المعين

*(مثل

(مثل ضربه بعض حكماء الديانة توبيخا لمن قصر عن حفظ الامانة)

بسم الله الحق ومولى الخلق ذكر سفينة النجاة واصغر الدعاة
ان حكيم الدهر ام سفرا وكان في حكمته مسطورا وفي علم
الاوائل مجهولا مأثورا وكان له من الممالك والاموال والضياع
شيء اخطرا وكان قبل سفره وسع على حشمه وعياله ويصدق على
جميع الخلق بالبقية من جميع أمواله وانه قبل غيبته نظر الى جماعة
من عبيده وتراهم في منازل استحقاقهم عنده بتوفيقه وتسديده
وانه اختص من أفاضل عبيده جماعة وأوصاهم وعلى أمواله
وضياعه ائتمنهم واستكفى بهم فقبلوا وصية مولاهم فنهضوا
في خدمته خاضعين ولامره سامعين طائعين واجتهدوا في عمارة
الضياع وتثمير ما ائتمنهم عليه من الاموال والمتاع فتمادت
غيبته الاعشر وشهر واحد حتى لم يبق من البرية الاناس له غامط
لنعمته جاحد وثار متغلب الزمان الدعي وتبعه كل منافق شقي
ففتك بعبيد الحكيم قسرا وقتلهم على محبة مولاهم تجبرا وقهرا
وهدر دماءهم في جميع البلدان وتبعهم هو واتباعه في كل موضع
ومكان عداوة للسيد الحكيم وعدولا عن صراطه المستقيم
وعبيده على البأساء والضراء صابرون ولمهجهم في خدمة مولاهم
مسلمون باذلون وان البارى جلت قدرته وعظمت منته وعلت
كلمته ونفذت مشيئته وارادته تفضل بالبقاء والاموال على
أصغر العبيد ومنحه موارد التوفيق والتسديد فتذلل واستكان
لعظمة مولاه وتذكر واهتدى لما به أوصاه فنهض فيما أمره به

من الخدمة مجتهدا خاضعا وسعى فى استخلاص ما بعد عن مركز المتغلب ولاموال مولاه مثمرا جامعا فسهلت للعبد موارد الشرب وعرف بثقة مولاه أهل الصدق والكذب وميز الخلق بتأييد الولى بالسمات وعرفهم بالاسماء والصفات فكثر الريع فى البلد النائى وأزهرت أثماره وأضاءت بانوار الحقائق شموسه وأقماره وان العبد الخاضع الاصغر نظر من حيث هو فيما نظر الى ضيعة كانت خصيصة بالملك الاكبر ملاصقة لموضع المتغلب فى بنيانها هاوية من جميع أركانها وهى من وراء جبل عظيم ومن حائل دونها احصن حصين وهى من ورائه دائرة الجدران رثة البنيان كاعة الاثمار يابسة الاشجار فحركته محركات أهل الفضل وتذكر وصية الحكيم فى حفظ الاهل فلم يزل يدأب بنفسه فى عمارتها على الخطر العظيم والامر الجسيم حتى أجرى الى أرضها عينا من جنة النعيم مزاجها ماء الحياة وخازنها من أطهر السقاة يشرب منها أهل الحقائق المقربين ويمنع منها الاشقياء الناكثين فشربت منها فاورقت أشجارها وانتشرت ازهارها وكان قد لجأ الى هذه الضيعة بعد الغيبة والخراب أشباه الممسوخ والذئاب لهم أمثال فى التشبيه يعرفهم الفطن النبيه فبعضهم كالثعابين الرقط وبعضهم كالاساود الدمط والاراقم الشمط فكلما زرع العبد الناصح فيها زرعا يرجو منه البلاغ والتمام أحرقته تلك الافاعى بالعاب والسمام ولعبت فيها باذنابها الاساود فاصبح حصيدا خامد فاهلها أبدا في خمص وجياع لانها لا تثمر مع الضياع فلما افاعها العبد الناصح ان سقاها بماء ريق زلال جعلته مجازعا قا

وان

وان نصب فيها غرا أحرقته بلهيبها احراقا فنظر اليها ضاحكا كلفا وبكى عليها مليا أسفا وقال لها أما أنا فتوكلى على الحاكم المنان وأما أنت فوائدك من بين الضياع والبلدان وتولى عنها منتظر الفرج من جهة مولاه مستترا من أعدائه وأعداه صابرا على حكمه وبلواه منتظرا لما قد وعده اياه فهذا المثل للنفوس الطاهرة دواء وشفاء وللنفوس الجاهلة شقاء وعناء تم المثل

(قصيدة الشنفرى الموسومة بلامية العرب)

الشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر من الازد من العدائين وكان فى العرب من العدائين من لا يلحقه الخيل منهم هذا وسليك ابن السلكة وعمرو بن براق وأسير بن جابر وتأبط شرا وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه فاحتالوا عليه فامسكوه وكان الذى أمسكه أسير بن جابر احد العدائين رصده حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فامسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله أعلم بذلك

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لاميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفى الارض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما بالارض ضيق على امرئ
سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولى دونكم أهلون سيد عملس * وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الاهل لامستودع السر ذائع * لديهم ولا الجانى بما جر يخذل
وكل أبى باسل غير اننى
اذا عرضت أولى الطرائد أبسل
وان مدت الايدى الى الزاد لم اكن * بأعجلهم اذ اجشع القوم أعجل
وماذاك الا بسطة عن تفضل * عليهم وكان الافضل المتفضل
وانى كفانى فقد من ليس جازيا * بحسنى ولا فى قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع * وأبيض إصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون يزينها * رصائع قد نيطت اليها ومحمل
اذا زل عنها السهم حنت كأنها * مرزأة ثكلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشى سوامه * مجدعة سقبانها وهى بهل
ولا جبأ أكهى مرب بعرسه * يطالعها فى شأنه كيف يفعل
ولا خرق هيق كأن فؤاده * يظل به المكاء يعلو ويسفل
ولا خالف دارية متغزل * يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بعل شره دون خيره * ألف اذا ما رعته اهتاج أعزل
ولست بمحيار الظلام اذا انتحت
هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل
اذا الامعز الصوان لاقى مناسمى * تطاير منه قادح ومفلل
أديم مطال الجوع حتى أميته * وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستف ترب الارض كى لا يرى له * على من الطول امرؤ متطول

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب * يعاش به الا لدى ومأكل

ولكن نفسا مرة لا تقيم بى * على الضيم الا ريثما أتحول

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت

خيوطة مارى تغار وتفتل

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا * أزل تهاداه التنائف أطحل

غدا طاويا يعارض الريح هافيا * يخوت باذناب الشعاب ويعسل

فلما لواه القوت من حيث أمه * دعا فأجابته نظائر نحل

مهللة شيب الوجوه كأنها * قداح بكفى ياسر تتقلقل

أو الخشرم المبعوث حثحث دبره * محابيض أرساهن سام معسل

مهرتة فوه كأن شدوقها * شقوق العصى كالحات وبسل

فضج وضجت بالبراح كأنها * واياه نوح فوق علياء ثكل

وأغضى وأغضت واتسى واتست به

مراميل عزاها وعزته مرمل

شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت

وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

وفاء وفاءت بادرات وكلها * على نكظ مما يكاتم مجمل

وتشرب أسآرى القطا الكدر بعدما

سرت قربا أحناؤها تتصلصل

هممت وهمت وابتدرنا وأسدلت * وشمر منى فارط متمهل

فوليت عنها وهى تكبو لعقره * يباشره منها ذقون وحوصل

كأن وغاها حجرتيه وحوله * أضاميم من سفر القبائل نزل

توافين من شتى اليه فضمها * كما ضم أذواد الأصاريم منهل

فعبت غشاشا ثم مرت كأنها * مع الصبح ركب من أحاظة مجفل
وآلف وجه الارض عند افتراشها * بأهدأ تنبيه سناسن قحل
وأعدل منحوضا كأن فصوصه * كعاب دحاها لاعب فهي مثل
فان تبتئس بالشنفرى أم قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول
طريد جنايات تياسرن لحمه * عقيرته لأيها حم أول
تنام اذا ما نام يقظى عيونها * حثاثا الى مكروهه تتغلغل
وألف هموم ما تزال تعوده * عيادا كحمى الربع أو هي أثقل
اذا وردت أصدرتها ثم انها * تثوب فتأتي من تحيت ومن عل
فاما تريني كابنة الرمل ضاحيا * على رقة أحفى ولا أتنعل
فاني لمولى الصبر أجتاب بزه * على مثل قلب السمع والحزم أفعل
وأعدم أحيانا وأغنى وانما * ينال الغنى ذو البعدة المتبذل
فلا جزع من خلة متكشف * ولا مرح تحت الغنى يتخيل
ولا تزدهي الاجهال حلمي ولا أرى * سؤولا بأعقاب الاقاويل أنمل
وليلة نحس يصطلي القوس ربها * وأقطعه اللاتي بها يتنبل
دعست على غطش وبغش وصحبتي
سعار وارزيز ووجر وأفكل
فأيمت نسوانا وأيتمت ولدة * وعدت كما أبدأت والليل أليل
وأصبح عني بالغميصاء جالسا * فريقان مسؤول وآخر يسأل
فقالوا لقد هرت بليل كلابنا * فقلنا أذئب عس أم عس فرعل
فلم يك الا نبأة ثم هومت * فقلنا قطاة ريع أم ريع أجدل

فان يك من جن لابرح طارقا
وان يك انساما كها الانس يفعل

ويوم من الشعرى يذوب لعابه * أفاعيه في رمضائه تتململ

نصبت له وجهي ولاكن دونه * ولا ستر الا الاتحمي المرعبل

وضاف اذا هبت له الريح طيرت * لبائده عن اعطافه ما ترجل

بعيد بعس الدهن والفلي عهده * له عبس عاف من الغسل محول

وخرق كظهر الترس قفر قطعته * بعاملتين ظهره ليس يعمل

فالحقت أولاه بأخراه موفيا * على قنة أقعي مرارا وأمثل

ترود الاراوي الصحم حولي كأنها
عذارى عليهن الملاء المذيل

ويركدن بالآصال حولي كأنني
من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل

(قصيدة النابغة الذبياني)

يادار مية في العلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها اصيلا كي أسائلها * عيت جوابا وما بالربع من أحد

الا أواري لأيا ما أبينها
والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

ردت عليه أقاصيه ولبده * ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

خلت سبيل أتي كان يحبسه * ورفعته الى السجفين فالنضد

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبد

فعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وانم القتود على عيرانة أجد
مقذوفة بدخيس النحض بازلها
له صريف صريف القعو بالمسد
كأن رحلي وقد زال النهار بنا * بذي الجليل على مستأنس وحد
من وحش وجرة موشى أكارعه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
سرت عليه من الجوزاء سارية * تزجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد
فبثهن عليه واستمر به * صمع الكعوب بريئات من الحرد
فهاب ضمران منه حيث يوزعه * طعن المعارك عند المحجر النجد
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها * شك المبيطر اذ يشفي من العضد
كأنه خارجا من جنب صفحته * سفود شرب نسوه عند مفتأد
فظل يعجم اعلى الروق منقبضا * في حالك اللون صدق غير ذي أود
لما رأى واشق اقعاص صاحبه * ولا سبيل الى عقل ولا قود
قالت له النفس اني لا أرى طمعا
وان مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغني النعمان ان له
فضلا على الناس في الادنى وفي البعد
ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه
وما أحاشي من الاقوام من أحد
الا سليمان اذ قال الاله له * قم في البرية فاحددها عن الفند

وخيس الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاع فاعقبه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
الا لمثلك أو من أنت سابقه
سبق الجواد اذا استولى على الامد
واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت
الى حمام شراع وارد الثمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا ونصفه فقد
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
فحسبوه فالفوه كما حسبت * تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد
أعطى لفارهة حلو توابعها * من المواهب لاتعطى على نكد
الواهب المائة الابكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد
والساحبات ذيول الريط فنقها * برد الهواجر كالغزلان بالجرد
والخيل تنزع غربا فى أعنتها
كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد
والادم قد خيست فتلا مرافقها
مشدودة برحال الحيرة الجدد
فلا لعمر الذى قد زرته حججا
وما هريق على الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسند

ما ان أتيت بشئ أنت تكرهه * اذا فلا رفعت سوطى الى يدى
اذا فعاقبنى ربى معاقبة * قرت بها عين من يأتيك بالحسد
هذا الاباء من قول قذفت به * طارت نوافذه حرى على كبدى
مهلا فداءك الاقوام كلهم * وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفنى بركن لا كفاء له * ولو تأثفك الاعداء بالرفد
فما الفرات اذا جاشت غواربه * ترمى اواذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مزبد لجب * فيه حطام من الينبوت والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الاين والنجد
يوما باطيب منه سيب نافلة * ولا يحول عطاء اليوم دون غد
أنبئت ان أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأر من الاسد
هذا الثناء فان تسمع لقائله * فما عرضت أبيت اللعن بالصفد
ها ان تا عذرة ان لم تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه فى البلد

(من ديوان أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى)

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى المتنبى بالكوفة فى كندة سنة ثلاث وثلثمائة ونشأ بالشام والبادية وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وثلثمائة ومن قصائده المعروفة السيفيات وهى القصائد التى أنشدها يمدح الامير سيف الدولة أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وهى كثيرة جدا هذه القصيدة وكان من سببها ما ذكره جامع ديوانه قال أحدثت بنو كلاب حدثا بنواحى بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه فادركهم بعد ليال بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات من جبل البشر

فأوقع بهم ليلا فقتل وملك الحريم فأبقى وأحسن الى الحرم فقال أبو الطيب بعد رجوعه في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

بغيرك راعيا عبث الذئاب * وغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك أنفس الثقلين طرا * فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب
طلبتهم على الأمواه حتى * تخوف ان تفتشها السحاب
فبت لياليا لا نوم فيها * تخب بك المسومة العراب
يهز الجيش حولك جانبيه * كما نفضت جناحيها العقاب
وتسأل عنهم الفلوات حتى * أجابك بعضها وهم الجواب
فقاتل عن حريمهم وفروا * ندى كفيك والنسب القراب
وحفظك فيهم سلفي معد * وأنهم العشائر والصحاب
تكفكف عنهم صم العوالي * وقد شرقت بظعنهم الشعاب
وأسقطت الأجنة في الولايا * وأجهضت الحوائل والسقاب
وعمرو في ميامنهم عمور * وكعب في مياسرهم كعاب
وقد خذلت أبو بكر بنيها * وخاذلها قريظ والضباب
اذا ما سرت في آثار قوم * تخاذلت الجماجم والرقاب
فعدن كما أخذن مكرمات * عليهن القلائد والملاب
يثبنك بالذي أوليت شكرا * وأين من الذي تولي الثواب
وليس مصيرهن اليك شينا * ولا في صونهن لديك عاب
ولا في فقدهن بني كلاب * اذا أبصرن غرتك اغتراب
وكيف يتم بأسك في أناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجاني عتاب
وانهم عبيدك حيث كانوا * اذا تدعو لحادثة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا * باول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم * وفقد حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب مولده دلال * وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب
فان هابوا بجرمهم عليا * فقد يرجو عليا من يهاب
وان يك سيف دولة غير قيس * فمنه جلود قيس والثياب
وتحت ربابه نبتوا وأثوا * وفى أيامه كثروا وطابوا
وتحت لوائه ضربوا الاعادى * وذل لهم من العرب الصعاب
ولو غير الامير غزا كلابا * ثناه عن شموسهم ضباب
ولاقى دون ثأيهم طعانا * يلاقى عنده الذئب الغراب
وخيلا تغتذى ريح الموامى * ويكفيها من الماء السراب
ولكن ربهم أسرى اليهم * فما نفع الوقوف ولا الذهاب
ولا ليل أجن ولا نهار * ولا خيل حملن ولا ركاب
رميتهم ببحر من حديد * له فى البر خلفهم عباب
فمساهم وبسطهم حرير * وصبحهم وبسطهم تراب
ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب
بنو قتلى ابيك بارض نجد * ومن أبقى وأبقته الحراب
عفا عنهم وأعتقهم صغارا * وفى أعناق أكثرهم سخاب
وكلكم أتى مأتى أبيه * فكل فعال كلكم عجاب

كذا

كذا فليسر من طلب الاعادي * ومثل سراه فليكن الطلاب

وسار سيف الدولة نحو ثغر الحدث لبنائها وقد كان أهلها أسلموها الى الدمستق بالامان سنة سبع وثلاثين فنزلها سيف الدولة يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وبدأ في يومه فخط الاساس وحفر أوله بيده ابتغاء ما عند الله تعالى ذكره فلما كان في يوم الجمعة نازله ابن الفقاس دمستق النصرانية في نحو خمسين ألف فارس وراجل من جموع الروم والارمن والروس والصقلب والبلغر والخزرية ووقعت المصافة يوم الاثنين انسلاخ جمادى الآخرة من أول النهار الى وقت العصر وان سيف الدولة حمل عليه بنفسه في خمسمائة من غلمانه وأصناف رجاله فقصد موكبه وهزمه واظفره الله تعالى به وقتل نحو ثلاثة آلاف رجل من مقاتلته وأسر خلقا من اصطلاريته واراخنته فقتل أكثرهم واستبقى بعضهم وأسر تودس الاعور بطريق سمندو ولقندو وهو صهر الدمستق على ابنته وأسر ابن ابنة الدمستق وأقام على الحدث الى ان بناها ووضع آخر شرافة منها بيده في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال أبو الطيب وأنشدها اياه بعد الوقعة بالحدث

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها * وتصغر في عين العظيم العظائم

يكلف سيف الدولة الجيش همه

وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه * وذلك ما لا تدعيه الضراغم

تفدى أتم الطير عمرا سلاحه * نسور الملا احداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها * وتعرف أى الساقيين الغمائم

سقتها الغمام الغر قبل نزوله * فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم

وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

طريدة دهر ساقها فرددتها * على الدين بالخطى والدهر راغم

تفيت الليالى كل شئ أخذته * وهن لما يأخذن منك غوارم

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

وكيف ترجى الروم والروس هدمها

وذا الطعن آساس لها ودعائم

وقد حاكموها والمنايا حواكم * فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرون الحديد كأنهم * سروا بجياد مالهن قوائم

اذا برقوا لم تعرف البيض منهم * ثيابهم من مثلها والعمائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفى أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة * فما يفهم الحداث الا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره * فلم يبق الا صارم أو ضبارم

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا * وفر من الفرسان من لا يصادم

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجاوزت

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
الى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة
تموت الخوافى تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب
وصارا الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها * وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما
مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة * كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى
وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ انك زرتها * بأماتها وهى العتاق الصلادم
اذا زلقت مشيتها ببطونها * كما تتمشى فى الصعيد الاراقم
أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم * قفاه على الاقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه * وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وقد فجعته بابنه وابن صهره * وبالصهر حملات الامير الغواشم
مضى يشكر الاصحاب فى فوته الظبى
لما شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفية فيهم * على ان أصوات السيوف أعاجم
يسر بما أعطاك لا عن جهالة * ولكن مغنوما نجا منك غانم
ولست مليكا هازما لنظيره * ولكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعة * وتفتخر الدنيا به لا العواصم
لك الحمد في الدر الذي لي لفظه * فانك معطيه واني ناظم
واني لتعدو بي عطاياك في الوغى * فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيار اليها برجله * اذا وقعت في مسمعيه الغماغم
الا أيها السيف الذي ليس مغمدا
ولا فيك مرتاب ولا منك عاصم
هنيأ لضرب الهام والمجد والعلا * وراجيك والاسلام أنك سالم
ولم لا يقي الرحمن حديك ما وقى * وتفليقه هام العدا بك دائم

تجمعت عامر بن صعصعة عقيل وقشير والعجلان أولاد كعب بن ربيعة بن عامر بمروج سلمية وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن ضامها بماء يقال له الزرقاء بين خناصرة وسورية وتشاكوا ما لحقهم من سيف الدولة وتوافقوا على التذام فيما بينهم وشغل من كل ناحية والتضافر ان قصد طائفة منهم وبلغه ما عملوا عليه وتراسلوا به فاقل الفكر فيهم وأطغاهم كثرة عددهم وسولت لهم أنفسهم الاباطيل واستولى على تدبير كعب عقيليها وقشيريها وعجلانيها الى المهيا وتفرد بذلك محمد بن بزيع وندى بن جعفر وحسن ذلك لهم قواد كانوا في عسكر سيف الدولة من كعب متدونين في عدة وعدة وركضوا على أعماله فقتلوا صاحبه بزعرايا يعرف بالمربوع من بني تغلب وقتلوا الصباح بن عمارة والي قنسرين واشتغل عن النهوض اليهم بوفود أتوه من طرسوس ومعهم رسول ملك الروم يسألونه اقامة الفداء والهدنة فتمادت أيام مسيره وزاد ذلك في طمع البوادي ثم قدم سيف الدولة مقدمة الى قنسرين في يوم السبت

لليلة خلت من صفر سنة أربع وأربعين وثلثمائة فأقامت أحد
عشر يوماتأنيا واستظهارا في أمر البادية وتقديرا أن يستقيموا
فلا يكشف لهم عن عورة وبرز سيف الدولة الى ضيعة له يقال لها
الراموسة على ميلين من حلب في يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت
من صفر وسار عنها في يوم الاربعاء فنزل ماء تل ماسح وراح منه
واجتاز بمياه الحوار فطواها وتلقته مشيخة بني كلاب فطرحوا
نفوسهم بين يديه وسألوه قبول تسليمهم اليه ففعل وسارت خيلهم
معه ووصل الى ماء يقال له المندية فصبحهم يوم الخميس لثلاث عشرة
ليلة خلت من صفر ونزل به وراح منه الى ظاهر سلمية فوجد
الاعراب قد اجفلوا في غداة يومه فنزل بها فلما كان في سحر يوم الجمعة
تجمعت كعب ومن ضامها من اليمن في عدتها وعددها وحبسوا
ظعنهم بماء يقال له خيران على نحو من حلة من سلمية وبعضهم بماء
يقال له الفرقلس وراءه ووافت خيولهم مشرفة على عسكر سيف
الدولة من كل ناحية فركب اليهم ووقع الطراد فلم تمض الا ساعة
حتى منحه الله أكتافهم وولوا واستحر القتل والاسر بأمثالها
ووجوه عقيل وقوادها ورحل سيف الدولة ضحوة نهار يوم الجمعة
متبعا لهم ونفذ واطائر بن فرحلوا بيوتهم فوافى الماء الذي يقال له
خيران بعد الظهر فوجد آثار جفلتهم وسار الى ماء الفرقلس وأمر
بالنزول عليه ثم عن له رأى في اتباعهم فرحل لوقته الى ماء يقال له
الغنثر وقدم خيلا فلحقت مالهم وحازته فنزل على الغنثر قبل نصف
الليل وقد امتلأت الارض من الاغنام والجمال والهوادج
والرجال وأتاه خبر عزمهم على الاجتماع بتدمر فسار في السحر يوم

الاحد الى ماء يقال له الجباة وتفرقت خيله فى طلب الفلول فردت مالا وقتلت عدة وراح منه قاطعا الصحصحان والمعاطش واجتاز بركايا العوير ونهيا والبيضة وغدروا الجفار ووجد بجميعها اقد نزفته البادية المفلولة وصبحت أوائل خيله تدمر يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر ووجدوا جموعهم قد كانت بظاهرها للتشاور والتدبير وهم لا يظنون ان سيف الدولة يتبعهم فنذروا به فرحلوا فى نصف النهار وتعلقت بهم خيوله ووافى سيف الدولة تدمر على نصف ساعة من النهار وعرف الخبر فسار لطيته فى طلب أكثر الجماعات والشق الذى سار فيه آل المهيا وحوثة وعامر بن عقيل وقد كانوا اقصدوا طريق السماوة قبله ويمنا وجد فى الطلب فلحق بالقوم وقتل وأسر وحوى المال وصفح عما ... ه من الحريم ورجع فى طف السماوة مشفقا من الامضاء عليهم لما وجدهم يموت حريمهم وذراريهم عطشا وتفرقوا أيدى سبا فقصدت طائفة منهم كبد السماوة فضاع أكثرها وطائفة موضعا من السماوة يعرف بالماء بن سعادة ولؤلؤة لا يروى ماؤهما الا اليسير وهلك كثير منهم وطائفة منهم قصدت القلوب مما يلى غوطة دمشق وعاد سيف الدولة فى آخر النهار الى معسكره ظافرا غانما ومن على جماعة منهم أسروا وعجزوا عن الهرب وبرهم وزودهم ووجد من كان أنفذه ثم الا قد حوى المال وقتل وأسر وعف عن الحريم وأقام بتدمر يومى الثلاثاء والاربعاء ورحل نحو ارك فنزلها ثم رحل نحو السخنة فنزلها ورحل فنزل عرض ورحل فنزل الرصافة ورحل فنزل الرقة يوم الاثنين فتلقاه اهلها وسال عن خبر نمير فعرف انهم اجفلوا فلم

تستقريهم داردون عين الخابور ووردت وفود غير يوم الثلاثاء مستعذين بعقوه فقاعتهم وقبلهم وسار نحو حلب وكان وصوله اليها يوم الجمعة لست خلون من شهر ربيع الاول فقال أبو الطيب يذكر ما جرى ويمدحه قصيدته التي أولها

تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجر عوالينا ومجرى السوابق

الا انه لم يذكر فيها المنازل ولم يصف الوقعة لانه لم يشهدها فشرحها له سيف الدولة وسأله أن يصفها فقال

طوال قنا تطاعنها قصار * وقطرك في ندى ووغى بحار

وفيك اذا جنى الجاني أناة * تظن كرامة وهي احتقار

وأخذ للحواضر والبوادي * بضبط لم تعوده نزار

تشممه شميم الوحش انسا * وتنكره فيعروها نفار

وما انقادت لغيرك في زمان * فتدري ما المقادة والصغار

فاقرحت المقاود ذفريها * وصعر خدها هذا العذار

واطمع عامر البقيا عليها * ونزقها احتمالك والوقار

وغيرها التراسل والتشاكي * وأعجبها التلبب والمغار

جياد تعجز الارسان عنها * وفرسان تضيق بها الديار

وكانت بالتوقف عن رداها * نفوسا في رداها تستشار

وكنت السيف قائمه اليها * وفي الاعداء حدك والغرار

فامست بالبدية شفرتاه * وأمسى خلف قائمه الخيار

وكان بنو كلاب حيث كعب

فخافوا أن يصيروا حيث صاروا

تلقوا عز مولاهم بذل * وسار الى بني كعب وساروا

فاقبلها المروج مسومات * ضوامر لا هزال ولا شيار

تثير على سلمية مسبطرا * تناكر تحته لولا الشعار

عجاجا تعثر العقبان فيه * كأن الجو وعث أو خبار

وظل الطعن في الخيلين خلسا * كأن الموت بينهما اختصار

فلزهم الطراد الى قتال * أحد سلاحهم فيه الفرار

مضوا متسابقي الاعضاء فيه * لأرؤسهم بأرجلهم عثار

يشلهم بكل أقب نهد * لفارسه على الخيل الخيار

وكل أصم يعسل جانباه * على الكعبين منه دم ممار

يغادر كل ملتفت اليه * ولبته لثعلبه وجار

اذا صرف النهار الضوء عنهم * دجا ليلان ليل والغبار

وان جنح الظلام انجاب عنهم * أضاء المشرفية والنهار

يبكي خلفهم دثر بكاه * رغاء أو ثؤاج أو يعار

غطا بالعثير البيداء حتى * تحيرت المتالي والعشار

ومروا بالجباه يضم فيها * كلا الجيشين من نقع ازار

وجاؤا الصحصحان بلا سروج * وقد سقط العمامة والخمار

وأرهقت العذارى مردفات * وأوطئت الاصيبية الصغار

وقد نزح الغوير فلا غوير * ونهيا والبييضة والجفار

وليس بغير تدمر مستغاث * وتدمر كاسمها لهم دمار

أرادوا أن يديروا الرأي فيها * فصبحهم برأي لا يدار

وجيش كلما حاروا بأرض * وأقبل أقبلت فيه تحار

يحف أغر لا قود عليه * ولا دية تساق ولا اعتذار

تريق سيوفه مهج الاعادي * وكل دم أراقته جبار

فكانوا

فكانوا الاسد ليس لها مصال * على طير وليس لها مطار

اذا فاتوا الرماح تناولتهم * بارماح من العطش القفار

يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

اذا سلك السماوة غير هاد * فقتلاهم لعينيه منار

ولو لم تعف لم تعش البقايا * وفى الماضى لمن بقى اعتبار

اذا لم يرع سيدهم عليهم * فمن يرعى عليهم أو يغار

تفرقهم واياه السجايا * ويجمعهم واياه النجار

ومال بها على أرك وعرض * واهل الرقتين لها مزار

واجفل بالفرات بنو نمير * وزأرهم الذى زأروا خوار

فهم حزق على الخابور صرعى * بهم من شرب غيرهم خمار

فلم يسرح لهم فى الصبح مال * ولم توقد لهم بالليل نار

حذار فتى اذا لم يرض عنهم * فليس بنافع لهم الحذار

تبيت وفودهم تسرى اليه * وجدواه التى سألوا اغتفار

فخلفهم برد البيض عنهم * وهامهم له معهم معار

هم ممن أذم لهم عليه * كريم العرق والحسب النضار

وأصبح بالعواصم مستقرا * وليس لبحر نائله قرار

وأضحى ذكره فى كل أرض * تدار على الغناء به العقار

تخر له القبائل ساجدات * وتحمده الاسنة والشفار

كان شعاع عين الشمس فيه * ففى أبصارنا عنه انكسار

فمن طلب الطعان فذا على * وخيل الله والاسل الحرار

يراه الناس حيث رأته كعب * بارض ما لنازلها استتار

يوسطه المفاوز كل يوم * طلاب الطالبين لا الانتظار

تصاهل خيله متجاوبات * وما من عادة الخيل السرار
بنو كعب وما أثرت فيهم * يد لم يدمها الا السوار
بها من قطعه ألم ونقص * وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك في نزار * وأدنى الشرك في أصل جوار
لعل بنيهم لبنيك جند * فأول قرح الخيل المهار
وأنت أبر من لو عق أفنى * وأعفى من عقوبته البوار
وأقدر من يهيجه انتصار * واحلم من يحلمه اقتدار
وما في سطوة الارباب عيب * ولا في ذلة العبدان عار
تم المنقول من ديوان أبي الطيب المتنبي

(القصيدة الطنطرانية)

هذه قصيدة المولى المحقق معين الملة والدين الطنطراني أطاب الله سره

يا خلي البال قد بلبلت بالبلبال بال
بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال
يا رشيق القد قد قوست قدي فاستقم
في الهوى وافرغ فقلبي شاغل الاشغال غال
يا أسيل الخد خد الدمع خدي في النوى
عبرتي ودق وعيني منك يا ذا الخال خال
كم تسوق زمرة العشاق غساق الجوى
كم تسوق المتفلي ساقا عن الخلخال خال
ان قلبي في شمار هاج من سكر الهوى
فاسقني من فيك خمرا فيه كالسلسال سال

لحت من وجه جميل جاه العشاق شاق
جد بتقبيل اليه قلب ذى المشتاق تاق
ياغزالا قده فى المشى كالارماح ماح
ريقه راح ومافى غير تلك الراح راح
لم يزل يرتاض فى جنات عدن من جنى
من جنى بستان خد منك كالتفاح فاح
قط ما أفرحتنى مذ بالاسى أبرحتنى
سر صبا مذ غدا فى الحزن ما فى الراح راح
قد كتمت الحب فى قلبى زمانا فاعتدى
در جارى أدمعى بالسر كالمصباح باح
من يلق فى هوى حور الغوانى قد غوى
ان هذا الامر لى من ربى الفتاح تاح
نجنى عما أقاسى ارحتنى الآن آن
ان لنا قلبا فقاسى القلب للخلان لان
فى عراص الوصل عانى الهجر كالغدار دار
لا ترحل فالحشا من كثرة الاسفار فار
لم تزل تزورّ كبرا منك عنى جانبا
لا تجبر فالفتى من قلبه الجبار بار
مذ شددت الوسط مغترا بزنار الهوى
لم أزل فى النار والاولى بذى الزنار نار
تاه قلبى اذا تاه من تباريح الجوى
ما أفاق القلب مذ من طرفك السحار حار

ذرهوى الغزلان واختر مدح صدر ماجد
جائد قرم سرى عن شعار العار عار
سيد فى كل خطب سادة الآفاق فاق
أيد فى الدين بلواه الى الفساق ساق
نخر دين الله من جدواه فى الانعام عام
وهو من جنس المعالى كثرة الاكرام رام
نصر رايات الهدى سباق غايات الندى
عادل هنديه العاتى على الغشام شام
ضيغم من دأبه ارغام ضرغام الشرى
باسل جس الى ضرب الطلى والهام هام
مؤتم الابناء فى الهيجاء عن آبائهم
مشفق اشفاقه الموموق للايتام تام
صام للمعبود عن لذاته لكنه
ليس عن قتل الاعادى مخذم الصمصام صام
لو رآه صاحب عن صنعة الكتاب تاب
لوعراه رستم فى موضع الارهاب هاب
يا عليما عنده العلام ذو الارشاد شاد
زاهدا تقواه فى دنياه للزهاد هاد
يا نظام الملك يا فخر الورى يا من اذا
جاء المستنجد المظلوم بالانجاد جاد
أصبحت منصورة رايات دين المصطفى
منه واستردى جهادا من الى الالحاد حاد

شأنه

شأنه اصفاد من والاه من آلائه

واعتدى شانيه فى الاغلال والاصفاد فاد

يوعـــد الاطراد بالايعاد حتى انه

لو رأته ما اعتدت من هول ذى الايعاد عاد

منه فى نادى الاعادى طارق الآجال جال

مالهم مذراعهم من شدة الاوجال جال

مقسط أضحى ومنه منهل الانصاف صاف

قاهر أمسى على الاعداء بالاجحاف جاف

ساد والحساد منه فى انحطاط دائم

ان علياه لهم كالزعزع النساف ساف

لم يزل يعطى لعاف ناره أوطاره

آثر التقديم والتأخير فى الاسعاف عاف

سحب أقطار السما ولم تكف ماضرّ اذ

للورى لو كاف غادى كفه الو كاف كاف

دم على رغم العدا وارق بعود العيدفى

دولة غراء فيها أدوم الالطاف طاف

تمت القصيدة الطنطرانية

(من ديوان الشيخ عمر بن الفارض)

صد حمى ظمئى لماك لماذا * وهواك قلبى صار منه جذاذا

ان كان فى تلفى رضاك صبابة * ولك البقاء وجدت فيه لذاذا

كبدى سلبت صحيحة فامنن على * رمق بها ممنونة أفلاذا

يارامياً يرمى بسهم لحاظه * عن قوس حاجبه الحشا انفاذا

أنى هجرت لهجر واش بى كن * فى لومه لوّم حكاه فهاذى

وعلىّ قيل من اعتدى فى هجره * فقد اغتدى فى هجره ملاذا

غيراً لم تجده عندى لائمى

ممن حوى حسن الورى استحواذا

ياما أميلحه رشا فيه حلا * تبديله حالى الحلى بذاذا

أنشى باحسان وحسن معطيا * لنفائس ولا نفس أخاذا

سيفاً تسل على الفؤاد جفونه * وأرى الفتور له بها شحاذا

فتك بعاريذ دمنه مصوّرا * قتلى مساور فى بنى يزداذا

لاغرو أن تخذ العذار حمائلا * أن طل فتاكا به وقاذا

وبطرفه سحر لو أبصر فعله * هاروت كان له به أستاذا

تهذى بهذا البدر فى جو السما * خل افترائك فذاك خلى لاذا

أربت لطافته على نشر الصبا * وأبت تراقته المقمص لاذا

وشكت بضاضة خده من ورده

وحكت فضاضة لمبه الفولاذا

عم اشتعال الخال وجنته أخا * شغف به وجدا أبى استنقاذا

خصر اللمى عذب المقبل بكرة

قبل السواك المسك ساد وشاذا

من فيه والالحاظ سكرى بل أرى

فى كل جارحة به نبا ذا

نطقت مناطق خصره ختماذا * صمت الخواتم الغناصر آذا

وقت

رقت ورق فناسبت معنى النسيـ

ـب وذا لمعناه استجاد شفاذي

كالغصن قداً والصباح صباحة * والليل فرعاً منه حاذي الحاذا

حببه علمني التنسك اذ حكى * متعففاً فرق المعاذ معاذا

فجعلت خلعي للعذار لشامه * اذ كان من لثم العذار معاذا

وانا بخيف منى عريب دونهم * حتف المنى عادي لصب عاذا

وبجزع ذيالك الحمى ظبي حمى * بظبا اللواحظ اذ أحاذ احاذا

هي أدمع العشاق جاد وليها الـ * ـوادي ووالى جودها الاواذا

من قبل ما فرق الفريق عمارة * كنا ففرقنا النوى أنفاذا

كم من فقير ثم لا من جعفر * وافى الاجارع سائلا شحاذا

أفردت عنهم بالشآم بعيدذا * لا الا انام وخيموا بغداذا

جمع الهموم البعد عندي بعد أن

كانت بقربي منهم أفذاذا

كالعهد عندهم العهود على الصفا

أني ولست لها صفا نباذا

والصبر صبر عنهم وعليهم * عندي أراه إذا أذى آزاذا

عز العزاء وجد وجدي بالالى * صرموا فكانوا بالصريم ملاذا

ريم الفلا عني إليك فقلتي * كلت بهم لا تقتضها استحاذا

قسماً بمن فيه أرى تعذيبه * عذباً وفي استذلاله استلذاذا

ما استحسنت عيني سواه وان سبى

لكن سواي ولم أكن ملاذا

لم يرقب الرقباء الا في شج * من حوله يتسللون لواذا

قد كان قبل بعده من قتلي رثا * أسدا لا تساد الشرى بذاذا
أمسى بنار جوى حشت أحشاءه
منها يرى الا يتاد لا الانقاذا
حيران لا تلقاه الا قلت من * كل الجهات أرى به جباذا
حران محنى الضلوع على أسى * أعيا الاسا فاستنجذا استنجاذا
دنف لبيب حشي سليب حشاشة
شهد السهاد بشفعه مشاذا
سقم ألم به فالم اذ رأى * بالجسم من اغداده اغذاذا
أبدى حداد كآبة لعزاه اذ * مات الصبا في فوده جذاذا
فغدا وقد سر العدا بشبابه * متقمصا وبشيبه مشتاذا
حرن المضاجع لانفاد لبثه * حزنا بذا قضى القضاء نفاذا
أبدا تشح وما تسح جفونه * لجفا الاحبة وابلا ورذاذا
منح السفوح سفوح مدمعه وقد
بخل الغمام به وجاد وجاذا
قال العوائد عندما أبصرنه * ان كان من قتل الغرام فهذا

قال ملغزا في حلب وهو عجيب

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه اخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم
وثلثه نصف وربع له * وربعه ثلثاه حين انقسم

وقال ملغزا في هذيل

سيدي ما قبيلة في زمان * هي منها في العرب كم حي شاعر
ألق منها حرفا ودع مبتداها * ثانيا تلق مثلها في العشائر

واذا ما صحفت حرفين منها * كل شطر مصحفا اسم طائر

وقال ملغزا فى بطيخ

خبرونى عن اسم شئ شهى * اسمه ظل فى الفوا كه سائر
نصفه طائر وان صحفوا اما * غادروا من حروفه فهى طائر

وقال ملغزا فى طى

اسم الذى تهوى حبه * تصحيف طير وهو مقلوب
حروفه ان حسبت مثلها * لحاسب الجمل ايوب

وقال ملغزا فى قند

أى شئ حلو اذا قلبوه * بعد تصحيف بعضه كان خلوا
كادان زيد فيه من ليل صب * ثلثا يرى من الصبح أضوى

وقال ملغزا فى القطرة

ما اسم شئ من الحيا * نصفه قلب نصفه
واذا رخم اقتضى * طيبه حسن وصفه

وقال ملغزا فى قرى

ما اسم الطير شطره بلدة * فى الشرق من تصحيفه اشرب
وما بقى تصحيف مقلوبه * مصحفا قوم من الغـــــرب

وقال ملغزا فى نوم

ما اسم بلا جسم يرى صورة * وهو الى الانسان محبوبه
وقلبه تصحيفه ضده * فاعن به يعجبك ترتيبه
حاشيتا الاسم اذا أفردا * أمر به والأمن مصحوبه
حروفـــــه أنى تهجيتها * فكل حرف منه مقلوبه

وله أيضا

ان مت وزارتربتي من أهوى * ابيت مناجيا بغير الهوى
في السر أقول ماتري ماصنعت * ألحاظك بي وليس هذا شكوى
تم المنقول من ديوان العارف عمر بن الفارض

(من كتاب المقامات لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري)

(المقامة السابعة البرقعيدية)

حكى الحرث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الاصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه ألقت ورقة منهن لديه فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا * بأوجاع وأوجال
وممنوا بمختال * ومحتال ومغتال
وخوان من الاخوا * ن قال لي لاقلالي
وأعمال من العما * ل في تضليع أعمالي

فكم

فكم أصلى بإمحال * وإمحال وزلزال

وكم أخطر في بال * ولا أخطر في بال

فليت الدهر لما جا * ر ما مال بأطفالي

فلولا أن أشبالي أغلالي وأعلالي

لما جهزت آمالي * الى آل ولا والي

ولا جررت أذيالي * على مسحب اذلالي

فمحرابي أحرى بي * وأسمالي أسمى لي

فهل حر يرى تخفيـ * ف أثقالي بمثقال

ويطفي حر بلبالي * بسربال وسروال

قال الحرث بن همام فلما استعرضت هذه الابيات تقت الى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن الوصلة اليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف كفا كفا وما ان نجع لها عناء ولا رشح على يدها اناء فلما أكدى استعطافها وكدها مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع وانساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج الى بقعتي وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال انا لله وأفوض أمري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم أنشد

لم يبق صاف ولا مصاف * ولا معين ولا معين

وفي المساوي بدا التساوي * فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت احدى

الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع أتحرم ويحك القنص والحبالة
والقبس والذبالة انه الضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها
وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت
لها ان رغبت في المنزوف المعلم وأشرت الى الدرهم فبوحي بالسر
المبهم وان أبيت أن تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت الى
استخلاص البدر التم والابلج الهم وقالت دع جدالك وسل
عما بدا لك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته
فقالت ان الشيخ من أهل سروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج
ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق
فخالج قلبي ان أبا زيد هو المشار اليه وتاجج كربي لعماه بناظريه
وآثرت ان أفاجئه وأناجيه لاعجم عود فراستي فيه وما كنت
لأصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت
ان يتأذى بي قوم أو يسري الى لوم فسدكت بمكاني وجعلت شخصه
قيد عياني الى أن انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه
وتوسمته على التحام جفنيه فاذا ألمعيتي المعية ابن عباس وفراستي
فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قميصي واهبت به
الى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني وانطلق
ويدي زمامه وظلي امامه والعجوز ثالثة الاثافي والرقيب الذي
لا يخفى عليه خافي فلما استحلس وكنتي وأحضرته عجالة مكنتي
قال يا حارث امعنا ثالث فقلت ليس الا العجوز فقال ما دونها
سر محجوز ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوأميه فاذا سراجا وجهه
يتقدان كأنهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من

غرائب سيره ولم يلقني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته
ما دعاك الى التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك الموامي
وانعامك في المرامي فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى اذا
قضى وطره أتأر الي نظره وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى * عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل اني أخو عمى * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي
الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي
المعدة وليكن نظيف الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم
السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن
به خلالة نقية الاصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة الى
الاكل لها نحافة الصب وصقالة العضب وآلة الحرب ولدونة
الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمر لا أدرأ عنه الغمر ولم أهم
الى انه قصد أن يخدع بادخالي المخدع ولا تظنيت انه سخر من
الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس
في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ
والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في أثره
طلبا فكان كمن قمس في الماء أو عرج به الى عنان السماء

(المقامة التاسعة الاسكندرية)

أخبر الحرث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب

الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لاجني الثمار
واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء
وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد
الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره
عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب
اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت
عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت
بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم الاسكندرية
في عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي
الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت
أيد الله القاضي وأدام به التراضي اني امرأة من أكرم جرثومة
واطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي
الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان
أبي اذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف
وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر
غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة
نادي أبي فاقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى انه طالما نظم
درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل
اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني
الى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة والفيته
ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح
يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم الى ان

مزق مالى باسره وانفق مالى فى عسره فلما أنسانى طعم الراحة وغادر يدى انقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجتن ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر فى الارض من الفساد ولى منه سلالة كأنه خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى دمعة وقد قدته اليك وأحضرته لديك لتجس عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فاقبل القاضى عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك فبرهن الآن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فاطرق اطراق الافعوان ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثى فانه عجب * يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس فى خصائصه * عيب ولا فى فخاره ريب
سروج دارى التى ولدت بها * والاصل غسان حين أنتسب
وشغلى الدرس والتبحر فى العلم طلابى وحبذا الطلب
ورأس مالى سحر الكلام الذى * منه يصاغ القريض والخطب
اغوص فى لجة البيان فأختار اللآلى منها وأنتخب
واجتنى اليانع الجنى من القول وغيرى للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا * ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امترى نشبا * بالادب المقتنى وأحتلب
ويمتطى أخمصى لحرمته * مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى * ربعى فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به * أكسد شئ فى سوقه الادب

لاعرض ابنائه يصان ولا * يرقب فيهم إل ولا نسب
كأنهم فى عراصهم جيف * يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبى لما منيت به * من الليالى وصرفها عجب
وضاق ذرعى لضيق ذات يدى * وساورتنى الهموم والكرب
وقادنى دهرى الملئم الى * سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لى لبد * ولا بتات اليه انقلب
وادنت حتى أثقلت عاتقى * بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب * خمسا فلما أمضنى السغب
لم أر الا جهازها عرضا * أجول فى بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة * والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به * حد التراضى فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها * أن بنانى بالنظم تكتسب
أو أننى اذ عزمت خطبتها * زخرفت قولى لينجح الأرب
فوالذى سارت الرفاق الى * كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقى * ولا شعارى التمويه والكذب
ولا يدى مذ نشأت نيط بها * الا مواضى اليراع والكتب
بل فكرى تنظم القلائد لا * كفى وشعرى المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى * ما كنت أحوى بها وأجتلب
فأذن لشرحى كما أذنت لها * ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما أحكم ماشاده وأكمل انشاده عطف القاضى الى الفتاة بعد أن شغف بالابيات وقال أما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام وميل الايام الى اللئام

وأى

وانى لاخال بعلك صدوقا فى الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم واعنات المعذر ملأمة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعى الى خدرك واعذرى أبا عذرك ونهنهى من غربك وسلمى لقضاء ربك ثم انه فرض لهما فى الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار قال الراوى وكنت عرفت انه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم أشفقت من عثور القاضى على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لاحسانه فاحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطى السجل للكتاب الا انى قلت بعدما فصل ووصل الى ما وصل لو ان لنا من ينطلق فى أثره لاتانا بنص خبره وما ينشر من حبره فأتبعه القاضى أحد أمنائه وأمره بالتجسس عن أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضى مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لى طربا فقال له ماذا رأيت وما الذى وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببليه * من وقاح شمريه

وأزور السجن لولا * حاكم الاسكندريه

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال له القاضي اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ماهو به أولى ولأريته ان الآخرة خيرله من الاولى قال الحرث بن همام فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما استبان النهار

قال الامام الاوحد العالم الفاضل برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي في شرحه لمقامات الحريري أما حديث ندامة الفرزدق فقد روي عن عبيد راوية الفرزدق انه قال أتتني النوار فقالت كلم هذا الرجل ان يطلقني قلت ماتريدين الى ذلك قال كلمه قال فاتيت الفرزدق فقلت ياأبا فراس ان النوار تطلب الطلاق فقال ماتطيب نفسي حتى أشهد الحسن فقال ياأباسعيد اشهد ان النوار طالق ثلاثا قال قد شهدنا قال فلما صار في بعض الطريق قال طلقتك قالت نعم قال كلا قالت اذا يخزيك الله عز وجل يشهد عليك الحسن وحلفته فترحم فقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

فكنت كفاقئ عينيه عمدا * فاصبح مايضيء له النهار

وأما الكسعي فهو الذي يضرب فيه المثل في الندامة فيقال أندم من الكسعي قال حمزة هو رجل من كسعة واسمه محارب بن قيس

وقال

وقال غيره هو من بنى كسع ثم من بنى محارب واسمه عامر بن الحرث ومن حديثه انه كان يرعى ابلاله بواد معشب فبينا هو كذلك اذ بصر بنبعة فى صخرة فاعجبته فقال ينبغى ان تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويرقبها حتى اذا أدركت قطعها وجففها فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشد يقول

يارب وفقنى لنحت قوسى * فانها من لذتى لنفسى
وانفع بقوسى ولدى وعرسى * انحتها صفراء مثل الورس
* صفراء ليست كقسى النكس *

ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ما كان من برايتها فجعل منه خمسة أسهم وأخذ يقلبها فى كفه ويقول

هن وربى أسهم حسان * تلذ للرامى بها البنان
كأنما قومها ميزان * فأبشروا بالخصب ياصبيان
* ان لم يعقنى الشوم والحرمان *

ثم خرج حتى أتى قترة على موارد حمر فيكمن فيها فمر قطيع منها فرمى عيرا منها فامخطه السهم أى أنفذه فيه وجازه وأصاب الجبل وأورى نارا فظن انه أخطأه فانشأ يقول

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان
مالى رأيت السهم بين الظران * يورى شرارا مثل لون العقيان
* فأخلف اليوم رجاء الصبيان *

ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى عيرا منها فامخطه السهم وصنع الصنيع الاول فانشأ يقول

لابارك الرحمن فى رمى القتر * أعوذ بالرحمن من سوء القدر

أأخطأ السهم لارهاق الظرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر
* أم ليس يغني حذر عند القدر *

فمكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى عيرا منها فاخطأه السهم وصنع الصنيع الثاني فانشأ يقول

مابال سهمي يوقد الحباحبا * قد كنت ارجو ان يكون صائبا
وامكن العير وولى جانبا * فصار رأيي فيه رأيا خائبا
* أظل منه في اكتئاب دائبا *

ثم مكث مكانه فمر به قطيع آخر فرمى عيرا منها فاخطأه السهم وصنع الصنيع الثالث فانشأ يقول

يا أسفي للشؤم والجد النكد * فيها ولم يغن الحذار والجلد
خاب ظني لاهل فيه والولد * أخلف ما أرجو لاهل وولد

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا منها فصنع الصنيع الرابع فانشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها * أحمل قوسي وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها * والله لا تسلم عندي بعدها
* ولا أرجي ما حييت رفدها *

ثم عمد الى قوسه فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات فلما أصبح نظر فاذا الحمر مطرحة حوله مصرعة وأسهمه بالدم مضرجة فندم على كسر القوس فشد على ابهامه فقطعها وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني اذا لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وأما الشيخ الامام محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي في كتابه المسمى كتاب شرح ماغمض من الالفاظ اللغوية

من المقامات الحريرية فقال النوار امرأة الفرزدق وكان من حديثه ان أعين وهو من أقاربه وكله في تزويج النوار فتزوجها لنفسه فلم ترض به فرافعته الى عبد الله بن الزبير فامره بطلاقها وكان تزوجها على مائة ناقة فندم على ذلك ندامة شديدة وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مفارقة نوار

وأما الكسعي فانه رجل اختار شجرة نبع أو شوحط فلم يزل يراعيها ويسقيها الماء حتى صلحت واتخذ منها قوسا وبرى خمسة أسهم وتكمن ليلا ليصيد الوحش فمرت به حمير وحش فرماها فمرقت سهامه من الرمية حتى أصابت الصفا فقدحت نارا فظن انه أخطأ ثم فعل بالخمسة كذلك فكسر القوس فلما أصبح رأى الوحش صرعى فندم ثم

(كتاب الانشاآت والمكاتبات)

(كتاب سلطان الحبش)

تخل هيمانوت الى درور السريانى الفرنساوى

السلطان تخل هيمانوت ابن السلطان اديام سجد ابن السلطان الاف سجد

موضع الخاتم

(تصدير الكتاب)

من الملك المكرم والسلطان المعظم مالك رقاب الامم ظل الله المسبل فى العالم أجل خواقين الملة المسيحية واعز ملوك الطائفة النصرانية وحافظ وصايا الانجيلية وحامى حمى الثغور الاسكندرية ناشر الحكم بين أنفس المسلمين والنصرانية المنتسب الى سلالة النبيين داود وسليمان عليهما أفضل الصلاة والسلام الاسرائيلية

دامت سعادته مع بقاء دولته السامية وكرماء عساكره الحامية آمين الى حضرة العزيز الفاضل والرجل العاقل القاصد البنا بالباطن والظاهر دروره السريانى الفرنساوى صين من الريب ونال أعلى الرتب آمين وبعد فقد وصل ترجمانك الياس مرسلا منك الينا فوقع موقع القبول ووصل موضع الوصول ثم عرفنا بانك مرسل الينا من أخينا السلطان فرنسا فتحيرت فى سنار فالآن أرسلت المكتوب الى السلطان بادى أن يطلقك ولا يحيرك وأن يكرمك ولا يهينك وأن يسامحك ولا يفتشك مع من معك وصاحبك ويوافقك ويوافقنا فى الدين والايمان كالياس مرسلك السريانى وكل من يجىء من بعدك مرسلا ومتاجرا من جهة أخينا السلطان فرنسا ومن جهة وكيله السنجاق الساكن فى مصر المحروسة وكل من يوافقنا فى الاديان والاحكام والايمان ونحن نحب التحابب والتوادد والتراسل والتواصل الى غير من يخالفنا فى الاديان والاحكام كيوسف وجماعته الذين رددناهم فى ساعتهم ومثلهم لا يصل الينا ولا يدخلون علينا ولا نرضى لهم أن يتجاوز زوامن السنار حتى لا يفتنون ويوصلون الى قتل النفوس وأنت تصل الينا مكرما محترما طب نفسا وقر عينا حرر فى ١٠ شهر ذى القعدة سنة ١١١٨ (كتابة الخاتم)

عيسى بن مريم ادريس محمد بن الاف

محمد نسل سليمان بن داود اسرائيلى

(كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسا لويز الرابع عشر)

(صدر هذا المكتوب)

العلى

العلى الامامى الكريم المروانى الخليفى الهاشمى الفاطمى
الحسنى عن الامر النبوى الشريف العلوى الذى دانت لطاعته
الكريمة ممالكه الاسلامية وانقادت لدعوته الشريفة الاقطار
المغربية وخضعت لاوامره العلية جبابرة الملوك السودانية
وأقطارها القاصية والدانية الى الملك الذى له بين ملوك النصرانية
والملل المسيحية الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة السامية المعظم
سلطان فرانسة السلطان لويز ابن السلاطين الكبار الذين لهم
المكانة السامية المنار أما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه
والصلاة والسلام على أفضل البرية من خلقه والرضا عن آله
الباذلين مهجهم فى نصرته والقيام بحقه ومواصلة الدعاء لهذا
المقام العلى الامامى المروانى العلوى الحسنى النبوى بنصر
متصل الدوام دائم الاتصال وتأييد كفيل بالسعد المتوالى فى الحال
والاستقبال فكتابنا هذا اليكم من حضرتنا العلية مدينة مراكش
المحروسة بالله المحمية ولا زائد بحمد الله الاماسناه لايالتنا الشريفة
من عوائد النصر والاقبال وصنائع الله الجميلة المنعمة السجال
المتتالة فى البكر والاصال لله المنة والشكر هذا موجبه اليكم
التعريف بأنه لما ورد خديمكم المرعى المحوط الرزبلى على مرسى
ثغر أسفى المحروس بالله وسلم كتابكم المصحوب معه لخدامنا الذين
بالثغر بادر وابوصوله الينا فى الفور فوقفنا منه على جميع ما أودعتم
فيه من تقرير المحبة وتأسيس الهدنة بين الجانبين الى ما أشرتم اليه
فى شأن الاسارى الفرانسيين الذين رغبتم من مقامنا العلى
تسريحهم فاخذنا فى ذلك أتم الاخذ وأكمله الى أن استوفى ذلك

على أحسن وجه وأجمله واجبنا كم عن فصول كتابكم كلها فوجهنا به وبالنصارى المذكورين صحبة خديمنا الوجيه الاثير النفيل النبيه القائد يحيى بن محمد الجناتي قصد أن يلتقي مع خديمكم المذكور ان تاتى له الاجتماع معه في البروان تعذر عليه ذلك يبعث لخديمنا من يقوم مقامه ممن هو مثله ويشابهه في اغراضكم ليسلم له النصارى المذكورين ويتكلم معه في اغراض الجانبين ثم ان خديمنا المذكور لما بلغ ثغر اسفي حرسه الله فقد خديمكم من المرسى فسأل عنه فقيل له انه أقلع منذ أربعة أيام فاقتص بعض الخدام أثره في البحر فلم يجد له أثرا هذا وقد كان خديمكم على علم ويقين أن خديمنا المذكور قادم اليه وفي أثناء الطريق فقلق قبل وصوله والخديم الذي يكون بصدد اغراض ضيقه لا يستفزه شئ عن قضائها ولا ينبغي له الانزعاج قبل استيفائها فعرفنا كم بالواقع لتوقنوا ان الم نقصر في أغراضكم المتلقاة لدينا بالقبول وبه وجب الكتب اليكم في سادس وعشرين من ربيع النبوي سنة أربعين وألف تم

(كتب المصالحة المنتظمة بين سلطان مراكش ولويز الخامس عشر سلطان فرانسا)

الحمد لله وحده هذا ما صالح عليه مولانا الامام المظفر الهمام السلطان الاعظم الامجد المعظم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ابن اسمعيل الله وليه ومولاه ابن مولانا اسمعيل قدس الله سره سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافلالت وغيرها طاغية جنس الفرنسيس ومن في حكمه لويز الخامس عشر من اسمه

بواسطة الباشادور المفوض اليه من قبله وهو كونط دبريون على شروط تذكر وتفصل بعد هذا وتم هذا الصلح وابرم فى آخر ذى الحجة الحرام عام ثمانين ومائة وألف الموافق لتاريخ الروم لثمانية وعشرين من شهر مايه عام سبع وستين وسبعمائة وألف

(الشرط الاول)

يؤسس هذا الصلح ويبرم على ما انبرمت عليه المصالحة بين السلطان الاعظم سيدنا ومولانا اسمعيل قدس الله سره وبين طاغية الفرنسيس فى ذلك الوقت لوين الرابع عشر من اسمه والشروط المشار اليها هى هذه

(الشرط الثانى)

ان لرعيتى الدولتين ان يذهبوا بتجاراتهم ومراكبهم حيث شاؤا برا او بحرا فى أمن وأمان بحيث لا يتعدى أحدهما على الآخر ولا يمنعهم أحد من ذلك

(الشرط الثالث)

اذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية أو غيرها بقراصين الفرنسيس أو غيرها من سفنهم البازركانية حاملة لسنجق الفرنسيس وعندهم باصابرط من قبل طاغيتهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ولا يفتش فيهم ولا يطالبون بغير احضارها وان احتاجوا الى ما يقضونه لبعضهم على وجه الخير قضوه من الجانبين وكذلك السفن الفرنسيسية يفعلون مع سفن سيدنا أيده الله ما ذكر أعلاه اذا التقوا معهم ولا يطالبونهم بشئ الا باظهار خط يد القونصوا الفرنسيسى

المستوطن بايالة سيدنا نصره الله على الوجه المصطلح عليه أيضا كما هو
مرسوم آخر هذه الشروط ولا تطالب القراصين الفرنسيسية
الكبيرة باحضار الباصابرط اذا التقت بهم سفن سيدنا ايده الله
اذ ليس من عادتهم حملها ويؤخر البحث عن الصغار لمضى ستة أشهر
تأتى من تاريخه أولها يونيه وآخرها نوعبر الآتى وفى هذه المدة يعطى
طاغيتهم امارة بالكتابة للسفن الصغار وتأتى نسخة منها على يد
القونصو لتصاحب قراصين سيدنا فى سفرهم بحيث اذا التقوا بهم
يستظهر كل واحد بما عنده من ذلك والعمل فى نزول الشلوكة على
ما وقع الشرط فيه بينهم وبين الجزيريين

(الشرط الرابع)

اذا دخلت سفينة من سفن سيدنا الجهادية أو غيرها المرسى من
مراسى الفرنسيس أو بالعكس فلا يمنعون من حمل ما يحتاجون
اليه من مأكول أو مشروب لهم ولمن معهم فى سفنهم من الجانبين
وكذلك ان احتاجوا الآلة من آلات سفنهم فلا يمنعون من ذلك
بالثمن الجارى بين الناس من غير ان يزاد عليهم شئ فى جميع ذلك
مراعاة للصلح الذى بين الرعيتين

(الشرط الخامس)

لرعيتى الدولتين الدخول لاى مرسى شاؤا من مراسى سيدنا أيده الله
أو من مراسى بلاد الفرنسيس والخروج منها سالمين آمنين وأن
يبيعوا ويشتروا ما شاؤا على حسب ارادتهم وان باعوا من سلعهم
بعضا وأرادوا رد الباقى لمراكبهم فلا يطالبون بوظيف آخر وانما
يطالبون بتعشير السلع أولا عند نزولها فقط ولا يدفعون فى التعشير

زيادة على غيرهم من الاجناس ولتجار الفرنسيس التصرف في البيع والشراء في جميع ايالة سيدنا نصره الله كغيرهم وان تفضل سيدنا أيده الله على جنس من أجناس النصارى بنقص شئ من القمرق أو من الصاكة وغيرها فهم من جملتهم

(الشرط السادس)

اذا انتقض الصلح بين أهل تونس والجزائر وأهل طرابلس وغيرهم وبين الفرنسيس ودخلت سفينة من سفن الفرنسيس أيا كانت لمرسى من مراسي سيدنا نصره الله وتبعتها سفينة حربية من سفن عدوهم لتأخذها فعلى أهل تلك المرسى منع سفينة الفرنسيس المذكورة من عدوهم المذكور ولو برميه بالمدافع ليبعد عدوهم عنها ويحبس المركب الطالب لها بالمرسى مدة حتى تبعد السفينة المطرودة عنها لئلا يتبعها في الحال حسبما هي العادة واذا التقت مراكب سيدنا الجهادية بعدوهم بكوشطة الفرنسيس فلا يأخذونهم الا بعد تجاوز ثلاثين ميلا

(الشرط السابع)

اذا دخلت سفينة من عدو الفرنسيس لمرسى من مراسي سيدنا أيده الله وبها أسارى من الفرنسيس فان كانوا باقين بالمركب لم ينزل أحد منهم للبر فلا كلام معهم فيهم وان نزلوا للبر فهم مسرحون وينتزعون من يد الذي هم تحت أسره وكذلك اذا دخلت سفينة من عدو سيدنا نصره الله لمراسي الفرنسيس وفيها أسارى من الايالة المولوية يفعل بهم مثل ذلك وان دخل عدو للفرنسيس أيا كان لايالة سيدنا بغنيمة أو دخل عدو سيدنا أعزه الله بغنيمة لمراسي

الفرنسيس فان الجميع يمنعون من بيع الغنيمتين بالايالتين واذا وجد عدو واحد من الدولتين تحت سنجق الاخرى فلا يتعرض له ولا لماله من الجهتين واذا أخذت سفينة سيدنا أيده الله غنيمة ووجد فيها بعض الفرنسيس ركابا فانهم يسرحون بأموالهم وأثاثهم كله وكذلك اذا غنم الفرنسيس سفينة لعدو وأيا كان ووجد فيها ركابا من الايالة المولوية فانهم يفعل بهم مثل ذلك وأما ان كانوا بحرية فلا يسرحون من الجانبين

(الشرط الثامن)

لا يلزم رؤساء المراكب البازركانية بحمل مالم يريدوه فى سفنهم ولا ان يتوجهوا لمحل من غير ارادتهم

(الشرط التاسع)

اذا انتقض الصلح بين وجاقات الجزائر ووجاقات تونس وطرابلس وبين الفرنسيس فلا يأمر سيدنا نصره الله باعانة الوجاقات المذكورين بشئ أصلا ولا يترك أحدا من رعيته يتسلح ويركب تحت سنجق أحد الوجاقات ليقاتل الفرنسيس ولا يترك أحدا يخرج من مراسيه ليقاتلهم وان فعل أحد من رعيته ذلك عاقبه وضمن ما أفسده وكذلك يفعلون مع من عادى الجناب المولوى أسماه الله لا يعينونه ولا يتركون من يعينونه من رعيتهم

(الشرط العاشر)

لا يكلف جنس الفرنسيس بدفع آلة الحرب من بارود ومدافع وغير ذلك مما يقاتل به

(الشرط الحادى عشر)

لطاغية الفرنسيس ان يجعل باياله سيدنا نصره الله من القونصوات
ما اراد وفي أي بلد شاء ليكونوا وكلاءه في مراسي سيدنا أيده الله
ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية في جميع ما احتاجوا اليه
ويسمع دعاويهم ويفصل بينهم فيما يقع بينهم من النزاع لئلا يتعرض
لهم أحد من حكام البلد غيرهم وللقونصوات المذكورين ان
يتخذوا بدورهم موضعا لصلاتهم وقراءتهم ولا يمنعون من ذلك ومن
أراد اتيان دار القونصو للصلاة أو للقراءة من أجناس النصارى
أيا كانوا فلا يتعرض لهم أحد ولا يمنعون من ذلك وكذلك رعية
سيدنا أيده الله اذا دخلوا بلاد الفرنسيس لا يمنعهم أحد من اتخاذ
مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأي مدينة كانوا ومن استخدمه
القونصوات المذكورون من كاتب وترجمان وسماسير وغيرهم فانه
لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف
أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم ولا يمنعون من قضاء حاجة القونصوات
والتجار في أي مكان كانوا ولا يدفع القونصوات ملزوما ولا وظيفا
عما اشتروه لانفسهم من مأكول ومشروب وملبوس ولا يؤخذ
منهم العشر عما جاءهم من بلادهم من الحوائج المعدة للباسهم
ومأكولهم ومشروبهم كيفما كانت وللقونصوات الفرنسيس
التقدم والتصدر على غيرهم من قونصوات الاجناس الآخرين
ولهم أيضا أن يذهبوا حيث شاؤا من ايالة سيدنا أيده الله برا وبحرا
من غير مانع لهم من ذلك ويذهبون أيضا السفن جنسهم ان أرادوا
من غير مانع أيضا ودورهم موقرة لا يتعدى فيها أحد على آخر

(الشرط الثاني عشر)

اذا وقع نزاع بين مسلم وفرنسيسى فان أمرهما يرفع للسلطان نصره الله أو لنائبه حاكم البلاد ولا يحكم بينهما القاضى فى نازلتهما

(الشرط الثالث عشر)

اذا ضرب فرنسيسى مسلما فلا يحكم فيه الا بعد احضار القونصو ليجيب ويدافع عنه وبعد ذلك ينفذ فيه الحكم بالشرع وان هرب النصرانى الضارب فلا يطالب به القونصو لانه ليس بضامن له وكذلك اذا ضرب المسلم الفرنسيسى وهرب فلا يطالب باحضاره

(الشرط الرابع عشر)

اذا كان لاحد من التجاردين على أحد من رعية الفرنسيس فلا يكلف القونصو بخلاصه الا اذا ضمن المال وكتب فى ذمته فحينئذ يكون الخلاص عليه وان توفى أحد من النصارى الفرنسيس فى جميع ايالة سيدنا نصره الله فتسلم أرزاقه وأمتعته ليد القونصو ليزمهما ويختم عليها أو يتصرف فيها باشاه ولا يمنعه أحد من ذلك ولا يتعرض له أحد من القاسمين ولا من أهل بيت المال

(الشرط الخامس عشر)

اذا رمى الريح مركبا من المراكب الفرنسيسية على سواحل ايالة سيدنا نصره الله أو جاء هاربا من سفن أعدائه فليعط سيدنا أمره لجميع أهل سواحله أن من وقع عنده مثل ذلك يعينونهم على قدر طاقتهم اما باخراج المركب للبحران أمكن وان حرث أعانوهم على تخليص الامتعة التى به وجميع آلاته وكل ما خرج من المركب يتصرف فيه القونصو القريب من ذلك المكان أو نائبه باشاه

ليخلص تلك السفينة بعد ان يعطى لمعيشه أجرته ولا يؤخذ عن تلك السلع حال التحريث عشر الا ما يبيع منها فيؤخذ عشره

(الشرط السادس عشر)

اذا دخلت مراكب الفرنسيس القرصانية لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله فليلتقوا بالبشر والبشاشة مراعاة للصلح الحاصل ورؤساء هذه المراكب ان اشتروا بدراهمهم شيأ من مأكول ومشروب لا يطالبون بصاكة ولا بغيرها وكذلك يفعل من دخل لمراسى الفرنسيس من سفن سيدنا أيده الله وهذا المأكول والمشروب المذكوران لانفسهم ولاهل مراكبهم

(الشرط السابع عشر)

اذا دخل قرصان من قراصين الفرنسيس لمرسى من مراسى الايالة المولوية فان القرنصوا الحاضر فى الوقت بالبلد يخبر حاكمها بذلك ليتحفظ على الاسارى الذين بالبلاد لئلا يهربوا للسفينة المذكورة فان هرب أسير وحصل المركب فلا يفتش عليه ولا يطالب به القونصوا ولا غيره لانه دخل تحت سنجق الفرنسيس ولاذ به وكذلك من فعل من أسارى المسلمين أيا كانوا ذلك بمراسى الفرنسيس لا يفتش عليه لان السنجق حرم

(الشرط الثامن عشر)

ما نسى من الشروط يفسر ويشرح على وجه مفيد معتبر لكى يحصل منها خير كثير ونفع عام لرعيتى الدولتين ولان بواسطتها تشد عقود الموالاة والمصافاة

(الشرط التاسع عشر)

اذا حصل اخلال فى الشروط التى انعقد عليها الصلح فلا يفسد الصلح بسبب ذلك وانما يبحث فى المسئلة ويرجع فيها للحق من أى ايالة كانت ولا يتعرض لرعايا الدولتين الذين لامدخل لهم فى شىء من الاشياء ولا يباشر أحد من الرعيتين الخصومة والجدال الابعد مخالفة الشريعة والحق اعلانا

(الشرط الموفى العشرين)

ان قدر الله بنقض الصلح المنبرم فجميع من بايالة سيدنا نصره الله من جنس الفرنسيس يؤذن لهم فى الذهاب لبلادهم بأموالهم وأولادهم فى امان ويمهلون فى البلاد بجميع أموالهم وأمتعتهم لمضى ستة اشهر

(ذكر الباصابرط المصطلح عليها)

لكل مركب من المراكب الفرنسيسية البازركانية من عند أمير البحر بكل مرسى من مراسى الفرنسيس لويز جان مرى دربون دك دبنطيور أمير البحر بايالة الفرنسيس السلام على كل من ينظر هذه الاسطر نعلمه انا دفعنا وقفذنا اجازة بالباصابرط هذه فلان رئيس المركب المسمى فلانا فيه من الوسق كذا وانه ذاهب الى بلد كذا موسوق بكذا مكاحله ومدافعه كذا رجاله كذا وهذا بعد ماصار النظر والاطلاع الشرعى بسافيه فشهادة على ذلك وضعنا امضاءنا وطابعنا وكتب بخط يده كاتب البحر فلان فى مدينة باريز فى شهر كذا فى سنة كذا لويز جان مرى دبوربون وتحت ذلك من جانب حضرته السمية غزا امير لمختوم

*(ذكر

(ذكر خطابة القونصوا المصطلح عليه الذي يكون عند سفن سيدنا أيده الله)

(صورته)

كاتبه فلان قونصوا الفرنسيس بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا نعلم كل من رأى هذه الاحرف ان المركب المسمى كذا رئيسه فلان وفيه كذا وهو من ثغر كذا بانه هو ومن معه من ايالة السلطان المنصور بالله سيدنا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف اليه رجاله كذا ومدافعه كذا وشهادة على ذلك وضعنا اسمنا على هذه الورقة التي ختمناها بخاتمنا في بلاد كذا في شهر كذا من سنة كذا

(كتاب سلطان مراكش الى لويز السادس عشر سلطان فرنسا)

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عن أمر السلطان الاعظم سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافلالت وسوس ودرعة وكافة الاقاليم المغربية سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن اسمعيل الله وليه ومولاه خلد الله نصره وأعز أمره وأدام سموه ونخره وأشرق في فلك السعادة شمسه وبدره الى عظيم جنس الفرنسيس المتولي أمرهم في الوقت الري لويز السادس عشر من اسمه سلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد ورد على حضرتنا العلية بالله كتابك الذي تاريخه ثاني عشر من مايه عام أربعة وسبعين وسبعمائة وألف المتضمن الاخبار بموت جدك الري لويز الخامس عشر على يد نائب قونصو كم برطلمي دابطنير وبقي في خاطرنا جدك لويز كثيرا حيث كانت له محبة في جانبنا العلي وكان

ممن يحسن السياسة فى قومه وله حنانة فى رعيته وحفظ عهد مع أصحابه وفرنسا حيث كان باقيا من ذريته من يخلفه فى المملكة والجلوس على سرير الملك من بعده ومازالت تسعد بك رعيتك أكثر مما كانت فى حياة جدك ونحن معك على المهادنة والصلح كما كنا مع جدك انتهى صدر الامر بكتبه من حاضرة مكناسة الزيتون فى عاشر جمادى الثانية عام ثمانية وثمانين ومائة وألف

(كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسا المذكور)

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم محمد بن عبد الله بن اسمعيل الله وليه ومولاه

من أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين عبد الله المتوكل على الله المعتصم بالله محمد بن عبد الله بن اسمعيل الله وليه ومولاه الى عظيم الفرنسيس لويز السادس عشر من اسمه السلام على من اتبع الهدى أما بعد فاعلم ان سفنا من سفن الفرنسيس حرثوا باقصى ايالتنا المباركة فى الصحراء وتفرق جميع من سلم من الغرق من النصارى فى أيدى العرب وحيث بلغنا ذلك وجهنا بعض خدامنا للصحراء لجمع من فى أيدى العرب من النصارى الفرنسيس لنوجههم اليكم بعد الانعام عليهم رعيا للمهادنة والصلح الذى بيننا و بينكم ثم ان قونصوكم الذى بايالتنا أساء الادب وكتب لنا ان نوجه له النصارى و يدفع الكاشطى الذى صير عليهم خديمنا المذكور فساءنا كلامه لانه لو أحسن الطلب لانعمنا بهم عليه على تقدير ان

لو

لو كانمعكم على الكرة فأحرى ونحن معكم فى الصلح والمهادنة ولاجل
ذلك وجهناهم لكم من حضرتنا العلية بالله عددهم عشرون فهم
يصلون هنا لنا حيثكم وقد وجهنا لكم خديمنا القائد الطاهر فنيش
باشادور امعه أولتسلك النصارى وليتكلم فى أمر اقتضاء نظرنا
السديد معكم ومع جميع قونصوات أجناس النصارى الذين
باياليتكم من الصالحين معنا وغيرهم على يدكم * وهو ان كل أسير أسر
باياليتنا من النصارى أيا كانوا فقداؤه مسلم رأسا برأس وان لم يكن
عندهم مسلمون فمائة ريال فداؤه لاغير وكذلك اذا كان المسلمون
أسارى عند النصارى ففداء كل مسلم نصرانى من جنسه ان وجد
وان لم يوجد فمائة ريال فداء المسلم أيضا وسواء فى ذلك الغنى والفقير
والقوى والضعيف لافرق بينهم فى الفداء ولا يبقى الاسير فى بلاد
المسلمين ولا فى بلاد النصارى عاما واحدا والشيخ الهرم الذى بلغ
السبعين والمرأة كيفما كانت لا أسر فيهما ختما وجد الشيخ
الهرم أو المرأة فى سفن المسلمين أو النصارى فيسرحان فى الحين من
غير فداء وهذا ان شاء الله رأى سديد ظهر لنا فيه صلاح الجانبين
أردنا ان يكون عقده على يدكم وان تم ذلك على الوجه المذكور
فوجه لنا كتابك بابرام ذلك ويصلك كتاب مطبوع بطابعنا
الشريف ومعلم بخط يدنا الشريفة مضمنه انا التزمنا جميع ماذكر
فى كتابنا هذا فى شأن فكاك الاسارى من الجانبين على الوجه
المذكور وان لم يبق تحت يدك ويصلك نسخة من الخيل من عتاق
خيلنا صلة منا اليكم وخديمنا المذكور لا تبطؤه عندكم ووجهوه
الينا عزما بعد قضاء الغرض الذى وجهناه اليه ونحن معكم على

المهادنة والصلح وكل مايقوله لكم ثقوا به فيه صدر الامر به فى مهل شعبان عام احدى وتسعين ومائة وألف

(كتاب الامام سعيد بن أحمد الى موسى روسيو قنصل فرانسا فى بغداذ)

(بسم الرحمن الرحيم)

من المتوكل على الله سبحانه وتعالى امام المسلمين سعيد ابن الامام أحمد بن سعيد البوسعيدى العربى الازدى العمانى

حضرة الاكرم المكرم المحب الناصح موسى روسل باليوز الفرنس سلمه الله تعالى

أشرف ماتتهاداه أهل الوداد وأكمل ماتتعاطاه أهل المحبة والاتحاد دعاء لاتحصيه الاقلام وتحيات على ممر الدهور والاعوام يهدى ويتحف ويجلى ويزف بانواع المعالى والتحف الى جناب العالى الجاه والجناب محبنا ومودنا الاكرم المكرم المحتشم سلمه الله تعالى من شر المحن وكفاه الله شر ماظهر وبطن بجاه سيدنا محمد سيد أهل المنن ثم ان تحرك الخاطر العاطر بالسؤال عن حال من لاحال عن المحبة والاتحاد فمن حمد الله وكرمه فى نهاية الاعتدال كثيرون السؤال عنكم وعن أحوالكم لازلتم سالمين بجاه رب العالمين ثم فى أبرك الساعات وأشرف الاوقات ورد علينا مشرفكم الشريف الحاوى المعنى اللطيف فسر الخاطر وأبهج الناظر حيث انه أنبأ عن صحة ذاتكم واعتدال أوقاتكم وحمدنا الله سبحانه وتعالى على سلامتكم وماذكرتم صار عندنا

مفهوماً ومعلوماً وعما ذكرتم انما كنتم في حضرة السلطان المعظم
بالولاية وبلغكم ماوقع وصار علينا من أمر المركب ولاجازله هذا
الامر ونحن نعرف يقيناً بانه لايجوز اليه ولايحبه الامور التي تصدر
على غير الحساب وجنابكم لماتكلمتم في حقنا بالكلام الحسن
الجميل الطيب فذلك من حسن محبتكم وطيب نيتكم فجزاكم
الله عنا كل الخير وأنتم غير خفي عليكم محبتنا مع الفرنس من قديم
الزمان في الحال والماآل والرجال والبنادر كلها واحدة والقلوب
شواهد وان شاء الله تعالى متى وصلت مراكب السركار الى بندرنا
المعمور عرفنا الوكيل خلفان بن محمد بانه يقوم لهم بجميع اللوازم
التي يحتاجون اليها من قليل او جليل ولايحتاج الى توصية وبحول
الله وقوته ماتسمعون من جنابنا الا الاخبار التي تسر الخاطر وعما
ذكرتم ان السلطان المعظم أمر بتوصيل المركب الموشور
الجديد مع لوازمه فيا عزيزنا انه الى هذا الآن بعد لم يصل وان
شاء الله تعالى متى وصل بالسلامة فهو مقبول ونجعله علماً بين العدو
والصديق ولاكان يحتاج الى كل هذا التصديع حيث ان المال
والحال واحد والضرر والنفع واحد ولكن ما نحسبه على باب
التصديع بل اننا نحسبه على باب المحبة والشفقة ولازلتم محضراً
لكل خير ان شاء الله تعالى ونحن عرفنا وذكرنا الى الوكيل خلفان
ابن محمد عن الرجل المتوفي بسقط ولابد أن يذكر لكم والمرجو أن
لاتقطعونا من أخبار سلامتكم وأخبار السركار ومن عندنا
الاولاد يقرؤنكم الدعاء والسلام خير ختام حرر في ٢٤
ذي الحجة سنة ١٢٠٠

(عنوان الكتاب)

بمنه وكرمه يتشرف الكتاب بمطالعة المحب الناصح الاكرم سينور
موسى رسل باليوزا الفرنس سلمه الله تعالى في بغداد دار السلام
وصول بالخير

*(كتابة الخاتم الواثق بالله الصمد امام المسلمين سعيد بن أحمد
سنة ١١٩٨)*

(كتاب وكيل مسقط خلفان بن محمد الى موسى روسيو المذكور)

(بسم الله تعالى)

حضرة الاكرم المكرم سينور موسى رسل باليوز الفرنس سلمه
الله تعالى

سلام سليم وثناء عميم ودعاء مستديم وعلى شروط المحبة والمودة
مستقيم يهدى ويتحف ويجلى ويزف الى جناب عالى الجناب
الاكرم المكرم الاوحد الاسعد المحب الناصح ذى الود
الوفى الراجح سلمه الله تعالى من شر كافة الاشرار ونجاه الله تعالى
من كيد الفجار بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه الابرار ثم ان تحرك
الخاطر العاطر بالسؤال عن حال من لا حال عن المحبة والاتحاد فمن
حمد الله والمنة في نهاية الاعتدال كثيرون السؤال عنكم في كل حال
وبعد فان الغرض الاصلي والمطلب الكلي ابلاغكم منا شريف
التحية والدعاء واعلامكم ان في أبرك الساعات وأشرف الاوقات
تشرفنا بمشرفكم الشريف العريف الحاوى المعنى اللطيف
فسر الخاطر وأبهج الناظر حيث انه أنبأ عن صحة ذاتكم

واعتدال

واعتدال أوقاتكم لازلتم سالمين بجاه رب العالمين وماذكرتم
واليه أشرتم فكله فهمناه وصار على البال والخاطر ويحمد نا الله
سبحانه وتعالى على سلامتكم وأما عن حال ماذكرتم وصرحتم لنا
من باب محبتكم وصداقتكم لنا فهذا شئ أوضح من الشمس
الواضحة ونعتقد محبتنا نحن مع الفرنس من قديم الزمان وعن حال
ما كان جنابكم حاضرا فى حضرة السلطان فى الولاية وطرق سمعكم
ماصار من أمر مركبنا الصالحى وتكلمتم بالكلام الواجب المليح
فى حقنا فهذا كله من حسن محبتكم ومن طيب طينتكم
وعندنا هذا يقين لاشك فيه ولاريب وجزاكم الله عنا كل الخير وقربنا
نحن مع الفرنس أقرب من كل الناس ومالنا ومالكم واحد
والبنادر واحد والضرر والنفع كله واحد ما يحتاج الى تبيان
والقلوب فى هذا شواهد وعن حال ماذكرتم أنه ربما يصل الى بندرنا
شئ من مراكب السركار فنكون قائمين لهم باللوازم التى يحتاجون
اليها من قليل ومن كثير فهذا ما يحتاج الى توصية وفى كل الامور
ان شاء الله تعالى ما يبلغكم الا الخبر الذى يسر الخاطر ويقر به
الناظر فى كل الاوقات ويا عزيزنا من طرف ماذكرتم ان السلطان
المعظم لما ان بلغه مقدم مركبنا الصالحى وما وقع عليه فتكدر خاطره
من هذا الامر ولم يعجبه ما صار وأمر لنا بمركب الموشور بالحديد مع
لوازمه الى خدمة الامام المعظم اعزه الله ونصره فالى هذا الآن
المركب المذكور بعد لم يصل عندنا ولا كان يحتاج الى هذا
التصديع كله حيث ان الحال والمال والبنادر كلها واحدة ولكن
نحن لم نحسب ذلك على باب التصديع بل انا نحسبه على سبيل

الشفقة والمحبة لنا فان شاء الله تعالى متى وصل بالسلامة فهو مقبول
غاية القبول ونجعله ذخيرة وناموسا الى المسركار بين العدو والصديق
ليفرح به الصديق ويكمد به العدو ولا زلتم ان شاء الله تعالى
تحضرا لكل خير وبعد يا عزيزنا من طرف ماذكرتم من شأن
الحكيم الذى جاء من منبى وتوفى فى مسقط فيا عزيزنا قبل وصول
هذا المذكور الى مسقط أرسل كتاب الى الحاج ناصر من منبى
وبينه وبينه صارت معرفة فلما ان وصل الى مسقط قصد بيت
استيفانوس الارمنى وبقى عنده يومين وتنازع واياه وخرج عند
واحد له بيت وسكن فيه وعزم على المسير الى بندر أبو شهر فى داو
للشيخ ناصر ونول على نفسه أربعين روبيه وعنده أفاروبيه التى
كانت عنده اعطاها الحاج ناصر على انه يأخذ مقابلتها من بندر أبو
شهر ومن بعد مرض الرجل المذكور قدر عشرين يوما توفى
وأقام بلوازمه الواجبة الحاج ناصر وقبره فى مقابر الافرنج والباقى
من بعد الاخراجات والذى قبضه بنفسه ثلاثة وسبعون تومان واحد
وعشرون قطعة شراع كتانى وثيابه وبعض الظروف والفراش فلما
وصل مشرفكم وبه ماذكرتم طلبنا الحاج ناصر عندنا وألزمناه
بالدراهم الباقية والشرع والاعراض فما وجدنا عنده غير الشرع
والاعراض على حالها وألزمناه بتسليم الدراهم المذكورة ووجدناه
قد تصرف فيها وكانت عليه اطلاب الى جملة الناس وما وجدنا
عنده شيأ وأعسر عن وفاء الدراهم وان شاء الله تعالى متى ظهر بيده
شئ نقبضه مانخلى ولا نرفع اليد وفى الحال الحاضر هو معسر منها
كثيرا والشرع والاعراض باقية متى أمرتم بارسالها أو بتسليمها

الى

الى وكيلكم الحاج داود خليل حسب أمركم نفعل ولكم الفضل والمنة والمرجو أن لاتقطعونا من أخباركم وأخبار الدولة العلية ومن عندنا الاولاد يقرؤنكم الدعاء ومهما يبدو لكم من غرض أو حاجة على الرأس والعين والسلام خير ختام الكلام

كتابة الخاتم أفوض أمرى الى الله تعالى عبده خلفان بن محمد

(كتاب الامام المذكور الى موسى روسيو أيضا)

من عبد الله الواثق بالله المتوكل على الله المعتصم بالله امام المسلمين سعيد ابن الامام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى الازدى العربى العمانى الى عالى جناب المحب الصفى الاجل الناصح المكرم المجل الاعز الوفى المراد بذلك موسى روسيو قونصل طائفة الفرنساوية فى مدينة بغداد حرسه الله ووقاه من المكاره والبوائق والكدورات والعوائق صدرت اليك الاحرف من بندر مسقط المعمور بحبر وسرور وتحرير السؤال لكثرة المودة والاتحاد الى جناب عالى المقام رفيع المحل والشأن وان الاعلام من هذا الجانب طيبة مقرونة بالخير والصلاح والمسرة والنجاح من العليم الفتاح وان شاء الله تكون فى حال السرور الدائم والنعيم القائم وكتابك المكرم وطريسك المعظم قد وصل الينا فى أبرك الساعات وأشرف الاوقات وكان عندنا أجل واصل وأعز نازل واستبشرنا بقدومه حيث انه كشف لنا ستر ذلك الحال عن حال سلامتكم ودوام عافيتكم وبقاء وجودكم وطول حياتكم ولازلت محروس

الجناب عزيز المآب ورسولكم السابق الذى قصد الى جانب
الهند وملبار وصل الينا سالما وقمنا له بجميع اللوازم الواجبة
من ضمير الفؤاد على طول الحد والمراد وهممناله بالتوجه
وجملناه على المنشآت فى البحر كالاعلام فى أسرع حال ولا بقى
عندنا الا يوم واحد أو بعض الايام على حسب التعريف وجعلنا
له همة عالية الى ان توجه الى المكان المطلوب وسارعنا على أحسن
حال نسأل الله وصوله سالما موفقا على بركات الله وقد صدرت اليكم
منا المكاتيب والطروس بوصوله الينا ومسيره من عندنا وكل من
يصل من جنابكم العالى الى محلنا فهو عندنا فى أعز حال وارخى بال
على حسب ما بيننا واياكم من المحبة الذاتية والصداقة التامة التى
تكثر وتزيد وتنمو فى الصدور متعلقة بالنحور الى يوم النشور
و بحال الرجل ادميكم المذكور الذى تريدونه يكون معنا بيندر
مسقط المعمور لانقضاء حوائجكم وحوائجنا فان شاء الله تعالى متى
وصل فله الحشمة التامة والمراعاة الجميلة العامة وله المحل الواسع
ولا يضيق عليه حال لان بنادرنا و بنادركم ومكاناتنا ومكاناتكم محل
واحد ولا مقسوم على حسب ما تعهدون فيما بيننا من المودة
الخالصة و زيادة ان شاء الله تعالى و بحال المركب المذكور الذى
أرسل من طرف السلطان فهو الى تاريخ ٢٥ جمادى الآخرة
سنة ١٢٠٢ لا وصل ولا ظهر له علم ولا خبر أبدا لا من جانب بلدان
الهند ولا غيرها ليكن عندك علم بذلك و يصير عندكم معلوم والمرجو
والمأمول منكم ان لا تقطعوا المكاتبات عن الاعلام من تلك
النواحى لان ما يسركم يسرنا وما يضركم يضرنا حيث اننا على عهد

الصداقة

الصداقة قائمون وعلى المودة ثابتون ولا يغير ذلك بيننا مغير ولا يكدره مكدر وكل مهم أو غرض يبدو فان ذلك يقضى ويمضى ان شاء الله ودم سالما وخص التحية منا من حضركم ولاذ بكم أجمعين وكافة ذويكم تاريخه ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٢

وبحال الخط الفارسى الذى أرسلتوه للوزير عند ادميكم من طريق حلب وتلقتوه العرب وشلعوه جزاؤهم على الله سبحانه وتعالى وهذا واصل اليك خط للوزير عوض الذى ذهب على ادميكم فلا بأس وهو داخل طية هذا الكتاب نسأل الله بلوغه سالما ان شاء الله

(عنوان الكتاب)

بمنه تعالى يصل الكتاب بعون الملك الوهاب الى يد المحب الناصح والصديق المناصح موسى روسيو قونصل طائفة الفرنساوية فى مدينة بغداد سلمه الله تعالى سنة ٢٦٤٢

(كتابة الخاتم الواثق بالله الصمد امام المسلمين سعيد بن أحمد سنة ١١٩٨

(كتاب الامام المذكور الى موسى روسيو أيضا)

من المتوكل على الله سبحانه وتعالى امام المسلمين سعيد ابن الامام أحمد بن سعيد آل بوسعيدى العربى الازدى العمانى حضرة الاكرم المكرم موسى روسيو وكيل سركار الفرنس سلمه الله تعالى أشرف ما تتهاداه أهل الوداد وأجل ما تتعاطاه أهل الشفقة والاتحاد سلام سليم وثناء عميم الى جناب عالى الجناب والشرف عمدة الوزراء العظام وصفوة الامراء الكرام محبنا وعزيزنا

الاجل الانبل والاكرم المكرم - لمه الله تعالى من شر كافة الاشرار ونجاه من كيد الفجار بجاه محمد المختار وآله وصحبه الاخيار ثم ان تحرك الخاطر العاطر بنوع من السؤال عن حال من لا حال عن المحبة والاتحاد فنحمد الله والمنة فى نهاية مايكون من الصحة والاعتدال كثيرون السؤال عنكم وعن أحوالكم فى كل وقت ثم ان الباعث لتحرير ذريعة الاخلاص والودادا بلاغكم مناشريف السلام والتحية والاكرام واننا باقون على المحبة والاخلاص وزيادة عما تعهدون منا لكم واعلام محبنا العزيز انه فى أبرك الساعات وأشرف الاوقات ورد الينا مشرفكم الشريف الذى حوى كتابين شريفين من الوزير المعظم اللذين وصلا على طريق اسلامبول الواحد باللغة الفرنساوية والآخر مترجم بالفارسية فرفعناهم على الرأس تاجا وجعلناهم للعين نورا وبهاجا وماذكر فيهم الوزير المعظم من اخلاص المودة الراسخة فصار عندنا معلوما ومفهوما وهذا شئ واضح كالشمس فى وسط النهار ولاشك فيه ولاريب وان شاء الله تعالى من الآن وصاعدا تزيد وتنمو المحبة والصداقة يوما فيوما وساعة فساعة مادامت الارواح فى الاجساد واعلام عزيزنا حفظه المولى الكريم اننا نعرف ونتيقن ان هذه المحبة صارت وازدادت من حسن صنعكم وتدبير رأيكم السديد ونحن فى فرح وسرور والبنادر والبلدان والاموال كلها واحدة ونحن أوصينا وزيرنا الاكرم الشيخ خلفان بانه متى وصل شئ من مراكب السركار الى بندرنا ان يقوم لهم فى كافة مايحتاجون اليه من اللوازم وأكدنا عليه ذلك غاية التأكيد لان

ذلك

ذلك حق لهم علمنا وان شاء الله تعالى ما تسمعون عنا الا كل ما يطيب
به الخاطر في كل الامور والاحوال ثم في تاريخ ٢٢ من شهر
جمادى الثانية قد ورد علينا مركب السلطان زيد قدره وفيه
القبطان كركادور لومار به واسم المركب كايسبو ومعه لنا كتاب من
حضرة جنرال مور يس فسر الخاطر وابهج النواظر حيث انه
أنبأ عن صحة ذاته واعتدال أوقاته وسررنا سرور واعظما وأقام
عندنا نحو خمسة عشر يوما وقمنا بلوازمه من الاول الى الآخر
وتوجه بالسلام وذكر لنا الجنرال ان لهم ارادة ارسال رجل يجلس
في البندر من طرف السركار وهذا الرجل يورد الينا من أطراف
بغداد تحت نظركم الشريف يكون يعرف في اللغة العربية
وأوعدناه حال وصول الرجل الى بندرنا نعطيه مكانا يجلس فيه
ويضع فيه أجناسه وله ان شاء الله تعالى منا الحشمة والمراعاة
الزائدة دون باقي الناس وذلك لاجل الصداقة والمحبة واعلام عزيزنا
من طرف المركب الذي ذكرتم بان السلطان المعظم أمر بارساله
لنا فهذا المركب بعدما وصل حيث ان مركب السلطان حين ورد
الينا أخبرنا انه تركه مع غير المراكب مقابل سيلان وان شاء الله
تعالى يصل بالسلامة وما كان يحتاج الى هذا التصديع حيث
ان المحبة بيننا وبين السلطان المعظم والوزير المحترم راسخة من قديم
الزمان والذي وقع على مركبنا أولا تقدير العزيز العليم وثانيا
الغلط وما يقع والاحوال ان شاء الله تعالى حسنة وجميلة بيننا
وبينكم في جميع الامور وكافة الانواع وان شاء الله تعالى يصل
المركب سالما غانما ونجعله علما بين العدو والصديق ويصير لنا به

فوزا بين الاعداء وان شاء الله تعالى عند وصوله نرسل لكم مكاتيب
الوصول لترسلوها عاجلا الى خدمة الوزير المعظم وتكون يد
المواصلة بيننا وبين السلطان والوزير على يدكم وتكونون أنتم
سبب الخير والصلاح فى الجميع ويصير الناموس عند الوزير المعظم
ثم من طرف ما ذكرتم عن الحكيم المتوفى فى المسكت فقد أمرنا
وكيلنا المكرم الشيخ خلفان فى قبض ماله وارساله اليكم وقد قبضه
ودفعه الى القبطان كركاريوده لوماريه بتمامه وكماله ولم يبق له شئ
وأخذ منه ورقة الوصول وهى واصلة اليكم ومن هذا الطرف
وكيلنا الشيخ خلفان وأولاده وأولادنا يخصونكم بجزيل التحيات
والسلام ومهما يبدو لكم من المهمات فى هذه الجهات فقضاؤها
واجب ومفترض علينا ولا تقطعونا من اعلام سلامتكم فى دائم
الاوقات ودمتم باحسن حال حرر وجرى فى غرة شعبان
سنة ١٣٠١

(كتاب الامام سعيد بن أحمد الى قنصل فرنسا المذكور)

من المتوكل على الله امام المسلمين سعيد ابن الامام أحمد بن سعيد آل
بوسعيدى العربى العمانى سلاما يزرى بنتق الجمان ويعجز فرائد
الدر والمرجان الى جناب صديقنا المحتشم الاجل الامجد الناصح
موسيو روسيو قنصل الفرنساوية الساكن فى مدينة بغداد سلمه
الله وأبقاه وعافاه ان شاء الله تعالى مهما تحرك الخاطر العاطر
بالسؤال عنا ورام كيفية الحال منا فانا نحمد الله الذى لا اله
الا هو على ما من به علينا من فضائله العظام وآلائه الجسام التى

تقصر عن ادراكها الافهام ونسأل الله الكريم المولى الرحيم
أن يتم لك النعيم والخير المقيم والبقاء وما ذلك عليه بعزيز أو بعيد
وهو الفعال لما يريد فالداعى الى تحرير هذا الكتاب أولا السلام
وثانيا الاستعلام على حسب الخلوصية والصحبة وفى أبرك
الساعات وأطيب الاوقات وافانا مشرفكم فقابلناه بالاكرام
فقرأناه وعرفنا معناه وعلى اليافوخ رفعناه فحمدنا الله تعالى
وشكرناه على حال صحتكم واعتدال أوقاتكم اللتين هما
المراد والاقتصاد وثانيا ما وافق تصديق أقوالكم فى الافعال
وتأكيد الاجلال وتحصيل المنال فى عظيم المساعى والمذاكرة
فيما بيننا وبين محبنا سلطان الفرنساوى وما اجتهدتم فيه لاجل
الصداقة فقدمتم قوالكم ووصل احسانكم وان كان المركب
صغيرا كثيرا لا يقوم بربع مركبنا الذاهب بل أعظم منه عندنا
وأكبر القبول وحسن المصاحبة وان الحال واحد ولو لم يصل هذا
وربما يبلغكم ما نأمر به عمالنا من بندر المسقط ويعاملونه
فى أصحابكم الواصلين الى سوحنا دون طوائف الافرنج ولا يشق
علينا مثل هذا وان ذهب أجل منه وعلى كل ملك ما يليق به فانا
بحمد الله نحمده حمدا كثيرا على ما أجرى به فينا من لطفه نسأله
اتمام ذلك الى الممات وان يوفقنا ساولئما هنالك فى الحياة والوفات
وما ذلك عليه بعزيز وانالم نزل نؤكد زيادة على عمالنا فى جناب
من يصل بندرنا من طرفكم فالبندر بندركم والمكان مكانكم
والحال واحد ولا تقطعنا من المكاتبة والاعلام حيث ذلك نصف
الملاقاة ودم سالما وسلم لنا على من شئت وحضرك ومن لدنا يسلمون

عليك أولادنا والاعمام ومن شاء الله ممن حضرنا باتم السلام
ومهما بدا الناعرض فانالله نتعرض تاريخ فى ذى الحجة الشريف
سنة ١٢٠٤ من الهجرة النبوية آمين

(خطاب من ديوان مصر الى جميع أهلها)

(الحمدلله وحده)

هذا الخطاب الى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الانام علماء الاسلام والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر أهل مصر ان حضرة صارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية وفقه الله لكل خير فى البكرة والعشية صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعيه بسبب ماحصل من اراذل أهل البلد والجعيديه من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساويه وعفا عفوا شاملا وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالازبكية ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان وذلك لاجل حصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام واتقان واحكام كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه لمصر وشفقته على ساكنها من صغير القوم قبل كبيرهم ورتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لاجل قضاء حوائج الرعايا وخلاص المظلوم من ظالم القوم وقد اقتص من عسكره الذين أساؤا وظلموا بمنزل الاستاذ الشيخ الجوهرى شيخ الاسلام وقتل منهم اثنين بقراميدان ونزل طائفتهم عن مقامهم العالى الى أدنى مقام لان الخيانة ليست من عادة الفرنسيس

خصوصا مع النساء الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس لانه بلغه انه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على سائر الناس فعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلام ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق وسائر الانام ويفتح الخليج الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الافخم وتحفظ البضائع عن اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليكم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لاجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ومن كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم الامن كان له دعوة شرعية فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية والسلام على أفضل رسل الدوام فى ١ من شهر شعبان سنة ١٢١٣

الفقير عبد الله الشرقاوى رئيس الديوان الخصوصى

الفقير محمد المهدى كاتم السر وباشكاتب الديوان الخصوصى

(صورة نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة)

نخبركم يا أهل المدائن والامصار من المؤمنين ويا سكان الارياف من العربان والفلاحين ان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا

السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وسبب ذلك انه
حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من
علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم فى الخروج معهم ويتركوا
عيالهم وأوطانهم فارادوا ان يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية
والعساكر الفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية
وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم
من مملكة مصر المحمية ولو كانوا فى هذه الاوراق صادقين فى أنها
من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهارا مع أغاوات معينين
ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف
الافرنجية دائما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين
وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء له
ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون
من عاداه ولذلك بين الفرنساوية والموسقو غاية العداوة الشديدة
من أجل عداوة الموسقو للاسلام وأهل الموحدين حتى ان الموسقو
يتمنى أخذ اسلامبول المحروسة ويعمل أنواع الحيل والدسائس
المعكوسة فى أخذ سائر الممالك العثمانية الاسلامية لكنه لا يحصل
ذلك بسبب اتحاد الفرنساوية ومحبتهم واعانتهم للدولة العلية
يريدون أن يستولوا على آياصوفية وبقية المساجد الاسلامية
ليقلبوها كنائس للعبادة الفاسدة وديانة الموسقو القبيحة الردية
والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ
بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الاقاليم
المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية

ولاتعارضوا العساكر الفرنساوية بشئ من أنواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولاتطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولايصلحون فتصبحوا على مافعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا فى أوطانكم سالمين وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين لان حضرة سارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولايعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ولاتعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الامم عليه أفضل الصلاة والسلام ختام

الداعى لكم الفقير السيد خليل البكرى نقيب السادة الاشراف الداعى لكم الفقير مصطفى الصاوى عفى عنه الداعى لكم الفقير سليمان الفيومى المالكى عفى عنه الداعى لكم الفقير الى الله محمد الدواخلى الشافعى عفى عنه الداعى لكم الفقير محمد الامير مفتى المالكية عفى عنه الداعى لكم الفقير أحمد العريشى عفى عنه الداعى لكم الفقير عبدالله الشرقاوى عفى عنه الداعى لكم الفقير محمد المهدى الحفناوى الداعى لكم الفقير موسى السرسى الشافعى عفى عنه الداعى لكم الفقير السيد مصطفى الدمنهورى عفى عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد

(هذه صورة تعليق الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الاقطار الشامية)

نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية ان العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرى شهر رمضان ووصلوا الى الرملة فى خامس عشرين منه فى أمن واطمئنان فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قاصدين الفرار الفرار ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة لد مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألف وخمسمائة قربة مجهزة جهزها الجزار يسيربها الى أقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده أن يتوجه اليها باشرار العربان من سفح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصدا اسفك دماء الناس مثل عوائده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لانه تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خشانة عقله وسوء تدبيره أن الامر لله كل شئ بقضائه وتدبيره وفى سادس عشرى شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضى الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا الى حاكمها وكيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يرد لهم الجواب وخالف قانون الحرب والصواب وفى آخر ذلك اليوم

السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين واقسموا على ثلاثة طوابير الطابور الاول توجه على طريق عكة بعيدا عن يافا بأربعة ساعات وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لاجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة لانه وجد سور يافا الآن بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة وفى تاسع عشرين الشهر لما قرب فتح الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة أمر حضرة صارى عسكر المشار اليه ان ينصب المدافع على المتاريس وان يضعوا أهوان القنبر باحكام وتاسيس وأمر بنصب مدفع صيانة لعساكره الصاعدين المشتغلين بخرق السور وأمر بنصب مدفع آخر بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا لانه وجد فى المينا بعض مراكب أعدهم عسكر الجزار الى الهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرين ان عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين الناظرين لمدارات الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا اليهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا انهم يغلبون الفرنساوية فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الوقعة وأرزوهم وألجؤهم الى الدخول ثانيا الى القلعة وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية على رعاياه والراحمون يرحمهم الرحمن وخاف على أهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر

والاكرام فارسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه لا اله الا الله وحده
لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة صارى عسكر اسكندر
برتيه كتخدا العسكر الفرنساوى الى حضرة حاكم يافا نخبرك ان
حضرة صارى عسكر الكبير بونابارته أمرنا أن نعرفك فى هذا
الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط
من هذه البلاد لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش وهو ابقاته فيها
والحال انها من اقاليم مصر التى أنعم الله بها علينا فلا يناسبه
الاقامة بالعريش لانها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره
ونعرفكم يا أهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته
وربطناه بانواع الحرب وآلات المدافع كثيرة والجلل والقنابر
غزيرة وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم
وحروبكم ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار اليه بونابارته
لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم
من سطوة عسكره المحاربين اذا دخلوا اليكم بالقهر أهلكوكم
أجمعين فالزمنا أننا نرسل اليكم هذا الخطاب أمانا كافيا لاهل
البلد والاغراب ولاجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة
عنكم ساعة فلكية واحدة وانى لكم ان الناصحين وهذا آخر
جواب الكتاب فجعلوا جوابه حبس الرسول مخالفين للقوانين
الحربية والشريعة المطهرة المحمدية وحالا فى الوقت والساعة هيج
صارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب
المدافع والقنبر الموجب للتدمير وبعد مضى زمان يسير تعطلت
مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار فى وبال

وتنكيس

وتنكيس وفي وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتجله القوم ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار ولاراد لقضاء الله ولا مدافع وفي الحال أمر حضرة صاري عسكر بالهجوم عليهم وفي أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والابراج ودار السيف في المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صاري عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غني وفقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الامان وأمرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى أوطانهم سالمين لاجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المغدرة مع تمكنه ومزيد اتقانه وتحصنه وفي هذه الوقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة ومسكوا المراكب التي في المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله ان آلات الحرب لا تنفع فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله

السيد خليل البكري نقيب السادة الاشراف بمصر حالا الفقير

عبدالله الشرقاوى رئيس الديوان بمصر حالا   الفقير محمد المهدى
كاتم سر الديوان بمصر حالا

*(صورة مكتوب حضر من مكة المعظمة خطابا من سلطان مكة
مولانا الشريف غالب)*

أرسله لمصر الى الدستور المكرم والمشير المفخم الوزير بوسيلك
مدبر الحدود العامة بمصر حالا زاده الله اجلالا واقبالا
دل مضمونه وأوضح مكنونه على صحة مصادقة الشريف للدولة
الفرنساوية ومزيد مودته لهم مع صدق النية بخلاف ما يظنه
سفهاء الرعية وعرفنا من ذلك أن حضور الجماعة قطاع الطريق
على القصير من غير اطلاعه وبغير اذنه فجزاهم ما حل بهم حيث
تخطفهم الطير وقد هلكوا فى الصعيد بعسكر الفرنساوية
أهل الشجاعة والمحاربة القوية الاسدية وحاصل مكتوب
الشريف للوزير لاجل أن يعتبر به الكبير والصغير ويساووا الى
مولاهم فى سائر المقادير فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
وهو اللطيف الخبير

(بيان لفظ المكتوب)

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه
وعمدة اخوانه الوزير الشهير بوسيلك مدبر أمور جمهور
الفرنساوية مهد بنيان السياسة بسداد همه الوفية
وبعد فانه وصل الينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما
ذكرت من وصول قبحتنا وانك أرسلت هجانا برفع العشور عن البن
وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه فهذا ما نؤمله من جميل

الحركات ووفاء المصادقات فاوجب ذلك عندنا وافر السرور ومزيد الود والحبور وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكا بوثاق الاعتماد عن محو مذاهب الشك فى كل مراد ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينتظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة وشهدنا الآن الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة فى هذا الاوان وما أمكن لنا خروج هذا المقدار الا باشد علاج مع سلب اطمئنان التجار لان كثرة أكاذيب الاخبار أوجبت لديهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الازمان وأما نحن فقد جاءتنا منكم قبل هذه المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والاكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمانينة من قبلكم لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم والمطلوب فى حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لاجل حفظ أموال الناس ويصلون بالابنان الى مصر ويبيع التجار ويزول وقف الاسباب والباس ويتموا فى رجوعهم كذلك قبل باوان ليكون ذلك سببا فى كثرة وفود الابنان وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس كذلك تصحبونهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لان هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبارا من أعيان التجار وعند مشاهدة الاكرام والاحتفال بهم فى كل حال يرسلون اليكم نفائس أموالهم ويهرعون

بالجلب لطرفكم ويزول الريب عن قلوبهم ونرجو الله بهمتنا أن
تسلك الطرقات وتنجح المطالب وتحصل المسرات باحسن مما
كانت من الامان وأعظم مما سبق فى غابر الازمان ويكثر بحول
الله الوارد اليكم من الاسباب الجائزية وكذلك امنائن فى المراكب
فأمولنا منكم القاء النظر على خدامنا وبذل الهمة على ماهو من
طرفنا وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام فى كل مرام ولا
يخفاك انه ورد علينا قبل بايام كتب من طرف أمير العسكر
الفرنساوى محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتأملناه وصار اليه
الجواب توصله اليه وما كان منها معولا فى ارساله علينا الى نواحى
الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذى فى الخا فجميعا
صدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى اربابها وان شاء الله عن قريب
يأتيكم الجواب تحريرا فى ١٨ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣
وقد وصل هذا الجواب لمصر فى ١٦ شهر ذى الحجة فيكون مدة
وصوله من مكة المشرفة اصر ثمانية وعشرين يوما وبعد وصول
هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة للخاص والعام
بدخول احد عشر داوا الى بندر السويس بسلام فحصل بهذا
الخبر الخزى للكذابين وبطل كلام المجرمين فالزموا الادب مع
الله وارضوا باحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله

(كتاب الشريف غالب بن مساعد شريف مكة الى أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

محل الخاتم ومكتوب فى وسطه عبده غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته صارى عسكر الكبير فى الاقاليم المصرية يجرى الله الخير على يديه

بعد السلام عليكم فقد وصل كتابكم وفهمنا كامل ماحواه خطابكم وماذكر عن الباسكم لمصطفى اغا كتخدا والى مصر امارة حجاج المسلمين فهو عين الصواب وذكرتم بأنكم عازمون على ارسال حجاج المسلمين الى بيت رب العالمين بطلب أمنيتهم من طرفنا فلا مانع لهسم وعليهم أمان الله من جميع المخاوف ولا صاد لهسم عن بيت الله وزيارة رسول الله ولا جعل الله الكعبة البيت الحرام الالاداء فريضة حج الاسلام فيجيؤن كعادتهم يحجون وهم آمنون وماذكرتم عن مشيئة بن التجار فلا يخفا كم ان المذكورين غير آمنين الغوائل التى رأوها فى الزمان السابق فاذا أردتم ذلك ارسلوا لهسم مايؤمن خواطرهم و بينوا لهم ماتأخذونه من العشر على أثمانهم وأموالهم فاذا فعلتم فهم يصلون اليكم و بخلاف ذلك لا يأمنون هذا ماعن لنا به التسطير وماذكرتم من تعرض العربان للحجاج المسلمين فلا يصير ذلك بحول الله وقدرته وهمتكم العالية هذا والسلام على من اتبع الهدى

(كتاب الشريف المذكور الى الامير بونابارته)

محل الخاتم مكتوب فى وسطه عبده غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢

وفى أعلاه مكتوب اسنادى الى الله وفى أسفله اعتمادى

على الله وفى أحد الجانبين مرادى رضا الله وفى الجانب الآخر
اعتقادى فى الله

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى قدوة أعيان
أقرانه الدولة الفرنساوية وعمدة أركان الخدانه الجماهير بسداد
همته الوفية صبنابو نابارته سر عسكر ومقدام كبرائهم فى كل
مصدر وبعد فداعى التحرير وموجب التسطير وصول كتابك
واحاطة علمنا بما حواه خطابك وماذكرت من وصول كتبنا
وتصفح مضمونها وارسال القول من طرفكم بما يوجب تبيان
حدود رسومات أموال التجار فى البلاد المصرية وجريان مسامحتنا
الخمسمائة فرق الى آخر ماشرحتموه من الكتاب المعلن بصريح وثائقه
صدق الاعتقاد فى كل مصدر من جهاتنا الحرمية ومطاوبك منا
ايصال الكتب المرسلة على يدنا لمحلها أحدها الولد حيدر تيبو سلطان
والثانى لامام مسكت والثالث وكيلكم بالمخا فقد وصلت الينا
وأرسلناها بيد معتمد من طرفنا لاصحابها طبق المرام وان شاء الله
عن قريب يجيئكم الجواب وما كان من همتنا فى جلب التجار الى
الديار المصرية واعتمادنا لخطكم وأكيد قولكم فنرجو الله
مانعتمد خلافه وقد كان تجار بندرنا المعمور فى روع من
الاكاذيب المختلفة على أموالهم وصدورها لطرفكم وحين
وردمنكم هذا القول الاكيد صمم كافة تجارنا فى أسباب الجلب
اليكم وتعهدنا لهم كامل ما توهمت به ضمائرهم من ضد الامان على
أموالهم وانما كان الانتظار منا لوفود قصتنا ورسولنا المصدر
اليكم فلما كان اليوم السابع من شهرنا هذا وصل المذكور الينا

وبيده كتاب وكيلك المعتمد الوزير بوسيلك المعلن بمزيد الالتفات لوفادتنا اليه وهمته فى أمور مرسلاتنا من البن وغيره وعند وصول ذلك حضضنا تجارنا بالبندر المذكور فى ارسال ماهو واصلكم من الابنان وغيره وهى خمسة مراكب مشحونة من طرف تجارنا وفيها ماهو مسطور رأعلاها باسمنا فهو لنا وصحبتهم قبجتنا ومراسيلنا بالسطور فالمطلوب عند وصولهم الى السويس أن ترسلوا من طرفكم عساكر يحافظون على الابنان الى أن تصلكم الى مصر ويبيعوها فعند اعادتهم باثمانها كذلك تشيعوهم بالعساكر الى أن يصلوا سفائنهم حرصا عليهم من خطر الطريق فاننا ما أمكن لنا تأمين التجار على هذا المقدار الا باشد علاج وما صدر هذا القدر الا بصدد التجربة من شدة ماتاً كد لديهم من توهيم الاكاذيب المتناشرة لانه مابيننا وبينكم الا العربان فاذا شاهد التجار مزيد الاعتناء باموالهم ومحافظاتها من مخاطرات الاسفار والاحتفال باكرامهم هرعوا بالجلب الى طرفكم فى كل آن ونرجو بهمتنا أن تسلك الطرقات وتنجح الميرات باحسن مما كان من الامان ويكثر الوارد اليكم من الاسباب التجارية لاسيما عند وجدان صدق مقالكم تتكون أسباب مصادقتكم فلان مأمولنا منكم القاء النظر على ماهو لنا من البن حسب ماهو مرقوم اسمنا فى ظهور رقم وفنا والالتفات لخدامنا وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام فى كل مرام وكذلك لايخفاكم ان لنا عوائد ومرتبات فى مصر مع سماح الخمسمائة الفرق ومقيد ذلك فى دفاتر الصرة التى تصلنا فى كل عام من نفس مصر دراهم نقدية وهنا بيان ماهو لنا بالديوان

العالى فى مصر الواصلة الينا صحبة الحاج مع كاتب الصرة وصرفها

عن الصرة الرومية	٠٥٤٠٠٠٠
ثمن سمرس وشطران	٠١٧٠٩١٧
معتادبنى حسين وبنى تراب	٠٠٤٨٧٨١
عن أشراف بنى تراب بدفتر متقاعد	٠٠١٩٥١٢
عن مرتب وقف الدشيشة الكبرى	٠١٢٥٣٢٥
من وقف المحمدية بالثلث بدفتر متقاعد	٠٠٨٣٣٣٣
حوالة كاتب الحرم بمكة عن اربطة	٠١٧٥٨١١
عن صرة شريف مكة انعام الدولة العلية	١٠٠٠٠٠٠
منها دواوين	٢١٦٣٦٧٩

ولنا فى وقف الخاصكيه المستجدة يسلمها لنا أمير الحاج

دواوين ٥٠٨٥٠٠ عنها ريال فرانسه ٥٦٥٠

حرر فى ١٨ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣

عنوان الكتاب عين أعيانه وعمدة اخدانه شيبنابونابارته أمير الجمهور الفرنساوى بمصر القاهرة حالا ٨٦٤٣

(نبذة من عجائب القادر المبدئ المعيد فى ذيل كتاب الانيس المفيد)

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب المصنوعات للشيخ الامام محمد بن محمد القزوينى

(النظر فى الكائنات وهى الاجسام المتولدة من الامهات)

فنقول الاجسام المتولدة اما ان تكون نامية أو غير نامية فان

لم تكن فهى المعدنيات وان كانت نامية فاما ان تكون لها قوة الحس والحركة أولم تكن فان لم تكن فهى النبات وان كانت فهى الحيوانات وزعموا ان أول ماتستحيل اليه الاركان الابخرة والعصارات والبخار مايصعد من لطائف مياه البحر والآجام والانهار من تسخين الشمس والعصارات ماينحلب فى باطن الارض من مياه الامطار ويختلط بالاجزاء الارضية وتغلظ وتنضجها الحرارة المستبطنة فى عمق الارض فتصيرها مادة للمعادن والنبات والحيوانات وانها متصلة بعضها بالبعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فاول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة فان المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالانسان والنفوس الانسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية والله أعلم

(النظر الاول فى المعدنيات)

المعدنيات هى أجسام متولدة من الابخرة والادخنة تحت الارض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة فى الكم والكيف وهى اما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب وقوية التركيب اما أن تكون منطرقة أو لم تكن والمنطرقة هى الاجساد السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والاسرب والخارصينى والتى لاتكون منطرقة فقد تكون فى غاية

اللين كالزئبق وقد تكون فى غاية الصلابة كالياقوت والتى تكون
فى غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات وهى الاجسام الملحية كالزاج
والنوشادر وقد لا تنحل بها وهى الاجسام الدهنية كالزرنيخ
والكبريت والاجساد السبعة انما تتولد من اختلاط الزئبق
بالكبريت على اختلاف فى الكم والكيف والزئبق يتولد من
أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية والكبريت
لطيف يتولد من اجزاء مائية وهوائية وأرضية تنضجها حرارة
قوية حتى صار مثل الدهن وأما الاجساد الصلبة الشفافة فتتولد من
مياه عذبة وقعت فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى
غلظت وصفت وانضجتها حرارة المعدن بطول وقوفها وأما غير
الشفافة فمن امتزاج الماء بالطين اذا كانت فيه لزوجة وأثرت
فيه حرارة الشمس بمدة طويلة وأما الاجسام التى تنحل بالرطوبات
فمن ماء مختلط بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديدا وأما
الاجسام الدهنية فمن الرطوبات المحتقنة فى باطن الارض اذا
احتوت عليها حرارة المعدن حتى تحللت ولطفت واختلطت بتربة
القاع وحرارة المعدن دائما فى نضجها وطبخها حتى ازدادت غلظا
وصارت مثل الدهن

(النظر الثانى فى النبات)

النبات يتوسط بين المعادن والحيوان بمعنى خارج عن نقصان
الجمادية الصرفة التى للمعادن وغير واصل الى كمال الحس والحركة
اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان فى بعض الامور
لان البارئ تعالى يخلق لكل شئ من الآلات ما يحتاج اليها فى بقاء

ذاته ونوعه وما زاد على ذلك يكون ثقلا وكلا عليه لا يخلقه ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان ومن عجيب صنع البارئ تعالى ان الحب والنوى اذا حصلا فى تربة ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وجذبا بقوة خلقها الله تعالى فيهما الاجزاء اللطيفة الارضية من الارض والمائية من الماء ثم ان تلك الاجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها حتى يصير الحب نجما بالغا ذا عروق وقضبان وأوراق وأزهار وحب النوى شجرا عظيما ذا عروق وساق وأغصان وأوراق وثمر والنبات قسمان شجر ونجم

(القسم الاول الشجر)

الشجر هو كل ماله ساق من النبات والاشجار العظام بمثابة الحيوانات العظام والنجوم بمثابة الحيوانات الصغار والاشجار العظام لا ثمر لها كالساج والدلب والعرعر لان المادة كلها صرفت الى نفس الشجرة ولا كذلك الاشجار المثمرة فان مادتها صرفت الى الشجرة والثمرة ويشبه حالها حال الذكور والاناث من الحيوان فان الذكران أعظم بدنا من الاناث لان بعض مواد الاناث يصرف الى الاجنة ومن عجيب صنع البارى تعالى خلق الاوراق على الاشجار زينة لها ووقاية لثمارها من نكاية الشمس والهواء ثم انه تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لا متكاثفة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس تارة أخرى فلو تكاثفت عليها حتى منعتها اصابة النسيم وشعاع الشمس لبقيت على فجاجتها غليظة الجلد قليلة المائية

واذا اسقط عنها بعض الورق أصابها الشمس وأحرقتها كما ترى في الرمانة التي احترق منها احد الجوانب ثم اذا فرغت الثمرة تناثرت الاوراق حتى لا تجذب مائية الشجرة فتضعف قوتها كما ترى في الحيوان فان الام تضعف من ارضاع أولادها وأعجب ما فيها ما ذكره الله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولنذكر بعض ما يتعلق بواحد واحد من الاشجار مرتبة على حروف المعجم ان شاء الله تعالى

(دلب) من أعظم الاشجار وأعلاها وأبقاها فاذا طالت مدتها تنفتت جوفها ويبقى ساقها محرقا وورقها تربيه منه الخنافس وبعض الطيور تجعلها في أوكارها لدفع الخنافس فانها تموت منها واذا غسل وطبخ وضمد به حبس النوازل عن العين * قشرها مطبوخا بالخل ينفع من حرق النار ووجع الاسنان * ثمرتها يقال لها جوز المسرومع الشحم ضماد جيد لنهش الهوام

(فلفل) شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليبار وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها فاذا هبت الرياح تساقط ثمرها على وجه الماء فيجمع منه وذلك فسحة وهي شجرة حرة لا ملك لاحد فيها وحملها عليها شتاء وصيفا وهو عناقيد فاذا حميت الشمس عليها انطبقت على كل عنقود منها أوراق حتى لا يحترق بالشمس فاذا زالت الشمس عنها زالت الاوراق عن العناقيد لتنال النسيم وذكر من رآها ان شجرتها مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شمراخان منظومان بالفلفل وشمراخه في طول الاصبع قال جالينوس أول

ما تطلع ثمرتها تكون دار فلفل ثم تنفصل عن حب يكون هو الفلفل

(قرنفل) شجرة تنبت في بعض جزائر الهند ثمرتها كالياسمين الا انها أشد سوادا وذكروا ان أهل تلك الجزيرة لا يخرجونها الا مطبوخة لئلا تنبت في غيرها من البلاد

(نارجيل) هو الجوز الهندي زعم أهل الحجاز ان شجرة النارجيل هي المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع التربة والاهوية على ثمرتها ليف يتخذ منه الحبال يستعمل في سفن البحر يصبر على الماء طويلا لا يتعفن لبنها لذيذ كثير الحلاوة اذا كان رطبا

(نخل) شجرة مباركة لا توجد الا ببلاد الاسلام قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم النخلة وانما سماها عمتنا لانها خلقت من فضلة طين آدم عليه السلام وهي تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها على انثاها واختصاصها باللقاح ولو قطع رأسها هلكت ولطلعها رائحة طيبة كرائحة المني ولها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها والجمار الذي على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة كهيئة مخ الانسان اذا أصابه آفة واذا قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الانسان وعليها الليف كشعر يكون على الانسان

قال صاحب الفلاحة اذا لم يثمر شيء من النخل يأخذ رجل فاسا ويقرب منها ويقول لغيره اني أريد قطع هذه الشجرة لانها لا تثمر فيقول الآخر لا تفعل فانها تثمر في هذه السنة فيقول الرجل انها لا تفعل شيأ ويضربها ضربتين أو ثلاثة فيمسكه الآخر بيده

ويقول لا تفعل فانها شجرة حسنة واصبر عليها هذه السنة وان لم تفعل فافعل ما بدا لك قال فاذا فعل ذلك فان الشجرة تثمر ثمرا كثيرا وكذلك غير النخل من الاشجار اذا فعل به هذا فانه يثمر وقال أيضا اذا قاربت بين ذكران النخل واناثها فانها يكثر حملها لانها تستأنس بالمجاورة وربما انقطع ألفها من الذكران فلا تحمل شيأ لفراقه واذا غرست الذكران وسط الاناث وهبت الريح فخالطت الاناث رائحة طلع الذكران حملت من تلك الرائحة كل أنثى حوله

(القسم الثانى من النبات النجم)

النجم كل نبات ليس له ساق صلب مرتفع مثل الزروع والبقول والرياحين والحشائش البرية * ومن الامور العجيبة القوة التى خلقها الله فى نفس الحب فانها اذا وقعت فى الارض جذبت بواسطة تلك القوة الرطوبة من نفس الارض مما حواليها كما تجذب شعلة النار فى السراج تلك الرطوبة فتعمل فيها القوى الطبيعية بارادة الله تعالى حتى تبلغ كمالها كما أراد الله تعالى والنجوم فى النبات كالحيوان الصغير فى الحيوان الكبير فكما ان عند شدة البرد لا يبقى من الحيوانات التى لا عظم لها شئ فكذلك لا يبقى من النبات التى ليس لها خشب صلب شئ * واعلم ان عقول العقلاء متحيرة فى أمر الحشائش وعجائبها وافهام الاذكياء قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها وكيف لا مع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها واختلاف اشكالها وألوانها وعجيب صور أوراقها وأزهارها وكل لون منها ينقسم الى أقسام كالحمرة مثلا فانها وردية

وأد بجوانية وسوسنية وشقائقية واذر يونية والى غير ذلك مع اشتراك
كلها فى الحمرة ثم عجائب روائحها وتخالفة بعضها بعضا مع اشتراك
الكل فى الطيب ثم عجائب أشكال حبوبها فان لكل واحد شكلا
وورقا وعرقا وزهرا ولونا وطعما ورائحة وخاصية بل خاصيات
لا يعرفها الا الله تعالى والتى عرفها الانسان بالنسبة الى ما لم يعرفه
كقطرة من بحر ولنذكر شيأ من خواصها مرتبة على حروف المعجم
ان شاء الله تعالى

(بيش) نبات ينبت بأرض الهند نصف درهم منه سم قاتل
وعلامته انه يعرض لمن سقى منه جحوظ العين وورم الشفتين
واللسان والدوار والغشى ذكروا ان ملوك الهند اذا أرادوا الغدر
بملوك تعاديهم ربوا جارية بالبيش من طفوليتها وذلك بأن يفرشوا
البيش تحت مهدها مدة ثم تحت فراشها مدة ثم تحت ثيابها مدة
وهكذا على التدريج الى أن تأكل الجارية منه ولم يضرها فحينئذ تمت
التربية ثم يبعثون بها مع الهدايا الى من أرادوا الغدر به فانه اذا
واقعها مات والسعالى يعتلف منه ولا يضره شيأ وكذلك فارة البيش
وهو حيوان يسكن فى أصله ويأكل منه قال ابن سينا انه يذهب
البرص طلاء وشربا وينفع من الجذام وهو سم قاتل يقتل منه نصف
درهم وترياقه فارة البيش

(دفلى) منه برى ونهرى فالبرى ورقه كورق الحقق بل أدق وقضبانه
طوال منبسطة على الارض ينبت فى الخرابات والنهرى على شطوط
الانهار وتنهض قضبانه على الارض وشوكه خفى وورقه كورق
الخلاف وأعلى ساقه أغلظ من أسفله وأقاحه كالورد الاحمر وثمرته

صلبة محشوة شيأ كالصوف قال ابن سيناء ورقه تهرب منه البراغيث وأكله يقتل آكله من جميع بني ادم وسائر الحيوانات قال بلنياس عمل بعض الملوك بعدو قصده في عسكر لاطاقة له به فأخذ من الشعير وطحنه بالدفلي وتركه حتى جف وأخذ الشعير معه وخرج الى وجه العدو فلما قرب من العدو تنحى عنه وترك الاثقال والميرة والشعير فورد عسكر العدو وأطلقوا دوابهم في الشعير فهلكت كلها فكر عليهم وأسرهم

(قثاء) قال صاحب الفلاحة اذا أردت ان تكون القثاء على صورة شئ من الحيوانات فخذ قالبا بالصورة التي أردت واجعلها فيه وهي صغيرة واستوثق منها ربطا بحيث لايدخل القالب ريح ولاغبار فانها اذا عظمت فيها كانت على صورة القالب الذي جعلتها فيه

(النظر الثالث في الحيوان)

أما الحيوان فهي الرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الامهات لان المرتبة الاولى للمعادن وهي باقية على الجمادية لقربها من البسائط والمرتبة الثانية للنبات فانها متوسطة بين المعادن والحيوان لحول النشو والنمو والمرتبة الثالثة للحيوان فانه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض أما الحس فلان الله تعالى لما قضى لكل حيوان أعداء علوما وأبدان الحيوان معرضة للآفات المفسدة لها والمهلكة اياها فاقتضت الحكمة الالهية له القوة الاحساسية ليشعر بواسطتها بالمنافي فيدفعه عن نفسه اذا

أحس بالمه فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع الى ان يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان اذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس بها حتى ينتبه من نومه فاذا هو بلا يد أو رجل وأما الحركة فلان الحيوان لما كان محتاجا الى الغذاء ولم يكن غذاؤه بجنبه فى جميع الاوقات اقتضت الحكمة الالهية له آلات الحركة ليتحرك بها الى الغذاء ولولا هذه القوة واحتاج الحيوان الى الغذاء ولم يقدر على المشى اليه لمات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف ولكان اذا أصابته آفة من حرق أو غرق بقى على مكانه حتى أدركه الحرق أو الغرق ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الالهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه فمنها مايدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والجاموس والاسد ومنها مايسلم من عدوه بالفرار فاعطى آلة الفرار كالظباء والارانب والطيور ومنها مايحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ والشيهم والسلحفاة ومنها مايحفظ نفسه بحصن كالفار والحية والهوام ومقتضى الحكمة الالهية أن خلق لكل حيوان من الاعضاء مايتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لا زائدا ولا ناقصا فلذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعا كثيرة * روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق فى الارض ألف أمة ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر ولنذكر الآن بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها ان شاء الله تعالى

(النوع الاول الانسان)

اعلم ان الانسان مجموع مركب من النفس والبدن فانه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحا وبدنا وخصصه بالنطق والعقل سرا وعلنا وزين ظاهره بالحواس والخط الاوفى وباطنه بالقوى ماهو أشرف وأقوى وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميرا والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك بريده والاعضاء خدمه والبدن محل مملكته والحواس يسافرون فى جميع الاوقات فى عالمهم ويلتقطون الاخبار الموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة وهو يعرضها على القوة العقلية تختار ما يوافق وتطرح مالا يوافق فمن هذا الوجه قالوا الانسان عالم صغير ومن حيث انه يتغذى وينمو قالوا نبات ومن حيث انه يحس ويتحرك قالوا حيوان ومن حيث انه يعلم حقائق الاشياء قالوا ملك فصار مجموعا لهذه المعانى فاذا صرف همته الى جهة من هذه الجهات يلتحق بها وان كان قد صرف همته الى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من دنياه بالتغذى وتنقية الفضول وان كان الى الحيوانية فيكون اما غضوبا كسبع أو شبقا كتيس أو أكولا كثور أو شرها كخنزير أو ضرعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطانا مريدا وان كان صرف همته الى الجهة الملكية فيكون متوجها الى العالم

الاعلى

الاعلى ولا يرضى بالمنزل الاسفل والمربع الادنى فيكون المراد من قوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

(النظر في القوى)

القوى صنف من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الابدان وقوام منافع أعضائها من الافعال والادراكات فتشبه أفعالها فيها أفعال صناع البلاد وسكانها فان حال البدن مع الروح وهذه القوى تشبه مدينة عامرة بالانها مأنوسة بسكانها مفتوحة الاسواق مسلوكة الطرقات مشتغلة الصناع وحاله عند النوم وهدو الحواس وسكون الحركات يشبه حال المدينة بالليل اذا غلقت أبوابها وتعطلت صناعها ونام أهلها ومنهم من قال ان البدن كبيت منقش بنقوش غريبة وصور عجيبة وألوان مختلفة والقوى تلك النقوش والصور والنفس كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت و بسبب وصول ضوئه الى أجزاء البيت يرى فى سقفه وحيطانه وفرشه عجائب يعرفها بل فى كل زاوية من زواياها مثل الحس والعقل والفهم والقوى الظاهرة والباطنة والجمال وغيرها فاذا فارق النفس بطلت هذه المعانى كلها كما ان البيت عند انطفاء السراج لا يرى الملك الصور والنقوش أثر وعجائب القوى خارجة عن الفهم لكن أحببت ان أذكر بعض ما أدركه أذكياء النفوس من الحكماء من العجائب المودعة فى الانواع الاربعة من القوى

(القوى الظاهرة وهى الحواس الخمس)

(الاول حاسة اللمس) وهى قوة منبثة فى جميع جلد البدن تدرك بها الملاقيه وبؤثر فيه فانها أول حاسة خلقت للحيوان حتى اذا مسته نارأو حديد جارح يحس به فيهرب منه ولا يتصور حيوان الاوله هذا الحس حتى الدودة التى فى الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت (الثانية الشم) وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك الروائح التى يؤديها الهواء المتكيف بتلك الكيفية (الثالثة البصر) وهى قوة مرتبة فى عصبة مجوفة فى العين تدرك بحصول الاشياء ذوات الصور والالوان فان الضوء اذا سرى فى الاجسام الشفافة وحمل معه الوان الاجسام واتصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسرى فى الاجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الالوان كما ينصبغ الهواء بالضياء فعند ذلك يحس بالقوة الباصرة (الرابعة السمع) وهى قوة مرتبة فى عصب داخل الصماخ تدرك الصوت الذى يؤدى اليه الهواء بالتموج وحاله يشبه تموج الماء فان الهواء أشد لطافة من الماء فاذا وقع شئ فى الماء تحدث من وقرعه دوائر فكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى ان يضمحل فكذلك يحصل من قرع الصوت الهواء تموج فاى سامع حصل فى ذلك الموج دخل اذنه فتحس به القوة السامعة (الخامسة الذوق) وهى قوة منبثة فى جرم اللسان يدرك بها ما يماسه من المطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التى تحت اللسان فان تلك الرطوبة تخالف الجسم الذى فيه كيفية الطعم فتتكيف بتلك الكيفية فيحصل الاحساس بالطعم

(فصل فى الدواب وهى النوع الثالث من الحيوان)

هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا ولما كان الانسان

لطيف البدن بطيء المشي كثير العدو من جنسه وتحت جنسه وحركاته قاصرة عن الوفاء بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الالهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه الى تذليلها وتصريفها تحته في اضاعة مقاصده لتقوم له مقام الجناح للطائر والقوائم للبهائم والدواب فقال عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وزعموا ان آذانها انما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى ليحاذي الثقب جهات شتى ويرد الهواء اليه فتكون فائدة السمع أكثر ولما كان الفرس أذكى حسا من الحمار خلقت أذنه أصغر من اذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لان الفرس يكفيه من قرع الهواء دون ما يكفي الحمار لصفاء حس الفرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لان احساسه بلدغ الهوام فوق احساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطرد بها الهوام عن بدنه ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ليمكن المشي الكثير عليها ولتكون سلاحا دافعا للعدو فان كل حيوان له حافر لا قرن له لان المادة لا تفي بهما جميعا وكل حيوان له قرن لا حافر له بل له ظلف فان المادة تفي بهما جميعا فتم آلة المشي والسلاح فسبحان من أعطى كل شيء ما يستحقه دون الزيادة والنقصان

(فصل في النعم وهي النوع الرابع)

هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع ولشدة حاجة الناس اليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب السباع وبراثنها وانياب الحشرات وابرها شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقت ذلولا كما قال تعالى

وذلك لهاهم فنهاركوبهم ومنها أيا كلوبن وخلق القرن سلاحا لها ليتدارك تقصير الحافر وجعل لها بدل الحافر ظلفا فقصور المادة عن الحافر والقرن وربما صرفت المادة في جهة أنفع وتركت الجهة التي هي أقل نفعا كترك الفك الاعلى للبقر بلا سن وصرف مادتها الى القرن والقوة المدبرة باذن الله تعالى تؤيد الحيوان اما بسلاح أو جنة أو هرب وأي هذه فقدت مادته دبرت بمادة أخرى حتى يكون له ما يحتاج اليه في بقاء شخصه ونوعه ثم ان النعم لما كان أكلها الحشيش اقتضت الحكمة الالهية لها أفواها واسعة واسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الصلب من الحب والنوى ولما افتقرت الى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا يبقى بغذائها واذا رجعت الى أماكنها تجعله بالاجترار مهيأ للنضج فعند ذلك تميز طبيعتها الطيف من ثقيله فتجعل التبن اليابس لحما ودما ومن العجب القوة التي خلقها الله تعالى في أضراسها فانها بالليل والنهار في الطحن لا تفتر الا قليلا فلو كانت من الحديد الذكر لانخسفت وتفتتت ولنذكر بعض ما يتعلق بواحد واحد

(زرافة) رأسها كرأس الابل وقرنها كقرن البقر وجلدها كجلد النمر وقوائمها كالبعير واظلافها كالبقر طويلة العنق جدا طويلة اليدين قصيرة الرجلين وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالنمر أشبه وذنبها كذنب الظباء قالوا الزرافة متولدة من ناقة الحبشة والبقرة الوحشية والضبعان وذلك ان الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجيء بولد بين خلقة الناقة والضبعان فان كان ولد تلك

الناقة ذكرا ولحق بالمهاة أتت بالزرافة وحكى طيمات الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء بالصيف تجتمع حيوانات مختلفة الانواع على مصانع الماء من شدة العطش فربما سافدت غير أنواعها فيتولد منه مثل الزرافة والسمع والعسبار وأمثالها والزرافة من الخلق العجيب ليس عندها الاظرافة الصورة وغرابة النتاج

(ظباء المسك) هي كظباء بلادنا الا ان لها نابين معقفين خارجين من الفم كالفيل فربما اصطيدت والمسك في صرتها غير نضيج تكون فيه سهوكة وسبيله سبيل الثمار اذا قطفت قبل ادراكها فانها تكون ناقصة الطعم والرائحة وأجود المسك ما ألقاه الغزال وذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم الى صرته فاذا استحكم الدم فيها ونضج يجد من ذلك أذية وحكة في صرته فيفزع حينئذ الى صخرة حادة فيحتك فيها ملتذا بذلك فتنفجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كانفجار الخراج والدماميل اذا نضجت فيجد الغزال بخروجها لذة والناس يتبعون مراعيها في الجبال فيجدون ذلك الدم قد جمد على تلك الصخور فيحكونه ويدعونه في نوافج معهم معدة لذلك فذلك أفضل المسك تستعمله ملوكهم ويتهادونه فيما بينهم

(فصل في السباع وهي النوع الخامس)

(دب) حيوان جسيم يحب العزلة فاذا جاء الشتاء يدخل وجاره الذي اتخذه في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع بذلك جوعه ويخرج من وجاره فصل الربيع اسمن مما كان ويخاصمه البقر فاذا نطحه البقر استلقى ويأخذ بيديه قرنيه

وبعضه عضا شديدا يقهره * والدبة اذا ولدت يكون ولدها كقطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقله من موضع الى موضع فاذا اصلب بدن الولد أقرته فى موضع وربما تترك أولادها وترضع ولد الضبع ولهذا تقول العرب فلان أحمق من جهيز وهى الانثى من الدب

(فصل فى الطيور وهى النوع السادس)

هذا النوع من الحيوان مختص بخفة البدن وفقد أعضاء كثيرة وجدت فى غيره والحكمة فى ذلك ان الله تعالى لما خلق الحيوانات وجعل بعضها اعدوا البعض أعطى لكل واحد منها اما قوة وسلاحا يدفع بها عدوه كالدواب والسباع أوآلة يهرب بها كالوحوش والطيور وأما الوحوش فآلاتها قوائمها وأما الطيور فآلاتها أجنحتها ثم ان هذه الآلة اقتضت خفة الجثة اذ لو كانت الجثة كبيرة اقتضت كبر الجناح والجناح الكبير لا يحصل منه سرعة الطيران بل يكون طيرانه بطيأ لا يزيد على سرعة المشى فلا يحصل الغرض المطلوب ومن العجائب طيران الطير فى الهواء وعدم سقوطه والهواء أخف منه وهو أثقل منه كما قال الله تعالى ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجثة نقص منها أعضاء كثيرة توجد فى غيرها من الحيوانات التى تلد وترضع وليخف عليها النهوض ويسهل الطيران كالاسنان والآذان والكرش والمثانة وخرزات الظهر والجلد الثخين واذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه الى أسفله كنسبة يمينه الى شماله فان كان طويل الرقبة تطول أيضا رجلاه

وكلما قصرت رقبته قصرت رجلاه ولو نتف ذنب الطير لمال الى قدام كالسفينة التي يخف مؤخرها قال الجاحظ كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرازير والعصافير واذا قطعت رجلاه لا يقدر على الطيران كما اذا قطعت يد الانسان فانه لا يقدر على العدو وكل طائر يحب الماء يزق فرخه ومن الطيور ما أعطى العجب في لونه كالطاوس والببغا وأبي براقش ومنها ما أعطى في حلقه كالحمام ومنها ما أعطى في حنجرته كالبلابل والقنابر ومنها ما أعطى العجب في تركيب أعضائه كاللقالق والكراكي والنعائم ومنها ما أعطى في صنعته كالخطاف والتنوط والقنبرة وانذكر بعضها وما يتعلق بها من العجب وترتيب أسمائها على حروف المعجم

(بلبل) يقال له بالفارسية هزاردستان طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الالحان يسكن البساتين وله شغب ويوجد أيام الورد يقولون انه يحب الورد فاذا رأى من يقطفه يكثر صياحه لا يصبر عن الماء ساعة لفرط حرارته ولا يتزاوج الا في البساتين والريح تعصف به من صغره وهو يعلم ذلك فاذا كان يوم الريح لا يخرج أصلا

(حبارى) طائر يقال له بالفارسية جرز قالوا ما في الطيور أشد بلها منها لانها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها وفي المثل كل شيء يحب ولده حتى الحبارى واذا وقع ذرقه على شيء من الطيور يعمل عمل الدبق والعرب تقول الحبارى سلاحه سلاحه واذا قصده الصقر لا يزال يعلو وينزل مع الصقر حتى يجد فرصة فيرميه بذرقه فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحباريات وتنتف

ريشه وفي ذلك هلاك الصقر والحباري اذا كسر وتحسر معه شيء من الطيور فنبت ريش صاحبه قبله مات كمدا يقال في المثل مات كمد الحبارى

(خطاف) طائر لايزال ينتقل من الصرود الى الجروم ويتبع الربيع اذا عرف استقبال الصيف يأخذ فراخه ويمشي بها الى الوكر الذي تركه في البلاد الاخر ولا يبقى منها واحد الارجع الى وكره القديم ويتخذ الوكر من الطين المخلوط بالشعر ليبقى بعضه على بعض ويقوى كطين الحكمة ومن العجب انه يعمل بعضها ويتركه حتى يجف ثم يعمل البعض الآخر فلو عملت كلها دفعة واحدة لتثاقلت وسقطت واذا أرادت اتخاذ الوكر عاونته الخطاطيف فاذا فرغت تاتي بالماء في أفواهها وتسوي به باطن الوكر وتملسه وتزيل خشونته وتضع السذاب في أوكارها لدفع الحيات والذباب والبعوض ومن المشهور ان عش الخطاف يحل في الماء ويسقى صاحبة الطلق فتضع بسهولة

(خفاش) طائر مشهور ضوء بصره ضعيف يستره شعاع الشمس لايخرج الا بين الظلام والضياء شبيه بالفار جناحه جلدة رقيقة وله أسنان والانثى لها ثدي كالفار ترضع أولادها تصيد الذباب والبق وأمثالهما وربما تأخذ ولدها في فمها وتطير وترضع ولدها وتأكل الرمان على الشجرة وتتركها قشرا مجوفا وتهرب عن ورق الدلب اذا نزل في مكانها واذا علقت خفاشة في شجرة قرية تجاوز الجراد عنها

(غواص) طائر يقال له بالفارسية ماهى خوار يوجد بالبصرة على طرف الانهار يغوص فى الماء منكوسا بقوة شديدة ويلبث تحت الماء والماء لا يعلوه مع خفة بدنه حكى بعضهم قال رأيت غواصا غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب وأخذ السمكة منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى وقربها من الغراب واشتغل الغراب بأخذها فوثب الغواص وأخذ برجل الغراب وغاص به ووقف تحت الماء حتى اختنق الغراب وخرج الغواص سالما

(قطا) طائر معروف سمى بصوته يقال فلان أصدق من القطا يبيض فى البرارى ويغيب عنها أياما ويعود اليها يقال فلان أهدى من القطا ولا ينام الليالى ويأتى الجادة ليكون عنده من المار بن خبر وله أفحوصة عجيبة فى وسط الحشيش مثل بها النبى صلى الله عليه وسلم فى وهنها حيث قال من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة

(فصل فى الهوام والحشرات وهى النوع السابع)

هذا النوع لا يمكن ضبط أوصافه وأصنافه لكثرتها قال بعض المفسرين من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون فليوقد نارا فى وسط غيضة بالليل ثم ينظر ما يغشى تلك النار من الحشرات فانه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن ان الله تعالى خلق شيأ من ذلك على ان الخلق الذى يغشى ناره يختلف باختلاف مواضع الغياض والجبال والسهول والبرارى فان فى كل بقعة من هذه البقاع ألوانا من المخلوقات مخالفة لما فى البقعة

الاخرى ومن الناس من يقول أى فائدة فى هذه الهوام مع كثرة ضررها ولم يدر ان الله تعالى يراعى المصالح الكلية كارسال المطر فان فيه مصالح البلاد والعباد وان كان فيه خراب بيت العجوز فهكذا خلق هذه الحشرات من المواد الفاسدة والعفونات الكائنة ليصفو الهواء منها ولا يعرض لها الفساد الذى هو سبب الوباء وهلاك الحيوان والنبات وان كان يتضمن لسع الذباب والبق والذى يحقق ذلك أنا نرى الذباب والديدان والخنافس فى دكان القصاب والدباس أكثر مما نرى فى دكان البزاز والحداد فاقتضت الحكمة الالهية صرف العفونات اليها ليصفو الهواء منها وتسلم من الوباء ثم جعل صغارها مأكولا لكبارها والا امتلأ وجه الارض منها فليس فى ملكوته ذرة الا وفيها من الحكم مالا يحصى وأعجب من هذا ان الحكمة تقتضى ان كل ما جعل سمه سببا لهلاك حيوان جعل لحمه سببا لدفع ذلك السم فان الاطباء الاقدمين وجدوا فى لحم الحية قوة تقاوم سمها فادخلوها فى الترياق والتجربة تشهدان من لسعته العقرب يلطخ الموضع برطوبة العقرب فيسكن ألمها فى الحال ثم ان هذا النوع من الحيوان يختلف حاله عند الشتاء فمنه ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنه ما يكمن فى الشتاء ولا يأكل شيئا كالحيات والعقارب ومنه ما يدخر ما يكفيه لشتائه كالنحل والنمل فانها لا تعيش بلا طعم ولنذكر بعضها مرتبا على حروف المعجم ان شاء الله تعالى

(برغوث) هو أسود أحدب ضامر اذا وقع نظر الانسان عليه أحس به فيثب تارة الى اليمين وتارة الى الشمال حتى يغيب عن نظر الانسان

قال

قال الجاحظ انها تبيض وتفرخ قالوا عمره خمسة أيام وزعموا ان البراغيث من الخلق الذي يعرض له الطيران فيصير بقا كما يعرض للدعاميص الطيران فتصير فراشا وزعموا ان البرغوث يأكل القمل الذي في الثياب ويموت من رائحة ورق الدفلى

(بعوض) هو حيوان في غاية الصغر على صورة الفيل وكل عضو خلق للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين فسبحان من قسم له الاعضاء الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كما للحيوان الكبير انظر الى صغر جسمه فان الطرف بالشدة يدركها صغره ثم الى رأسه فان رأسه كم يكون من جسمه وفيه القوة الباصرة والسامعة ثم الى دماغه وانظر كم يكون دماغه من رأسه فان فيه القوى الباطنة الخمس فيها الحس المشترك لانها ترى الحيوان تمشي اليها وفيها الخيال لانها اذا وقعت على الحيوان تغمس خرطومها واذا وقعت على الجماد لا تفعل ذلك وفيها الوهم لانها تفرق بين من يقصدها فتهرب وبين من لا يقصدها فتبقى وفيها الحافظة لانها اذا اجتذبت الدم تهرب في الحال اهلها ان انها أرجعت فتأتيها صدمة التألم وفيها المفكرة لانها اذا احست بحركة يد الانسان تهرب لعلمها انها مهلكة واذا سكن يده عادت الى مكانها لعلمها ان المنافي ذهب وان محل الغذاء خلا ولها خرطوم ادق شيء يمكن أن يقال ومع دقته مجوف حتى يجري فيه الدم الرقيق وخلق في رأس ذلك الخرطوم قوة تضرب بها جلد الفيل والجاموس تنفذه فيهما والفيل والجاموس يهربان من البعوض في الماء

(دود القز) دويبة اذا شبعت من المرعى طلبت مواضعها بين الاشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطا دقاقا ونسجت على نفسها كيسا

مثل كيس ليكون سربالها من الحر والبرد والرياح والامطار
ونامت الى وقت معلوم بالهام الله تعالى وأما كيفية اقتنائها فمن
عجائب الدنيا وهي انهم أول الربيع يأخذون البزر ويشدونه
في خرقة ويجعل تحت ثدي امرأة لتصل اليها حرارة البدن الى أسبوع
ثم ينثر على شيء من ورق التوت المقصوص بالمقراض فيتحرك الدود
وتأكل من ذلك الورق ثم لاتأكل ثلاثة أيام ويقال انها في النومة
الاولى ثم ترجع الى الاكل فتأكل أسبوعا ثم تترك الاكل ثلاثة أيام
ويقال انها في النومة الثانية وهكذا الى المرة الاخرى ويقال انها
في النومة الثالثة وبعد النومات يبالغ لها من العلف لتأكل كثيرا
وتشرع في عمل الفيلجة فيظهر عند ذلك على ظهورها شيء مثل نسج
العنكبوت ويزداد شيأ فشيأ فاذا مطر في هذا الوقت مطر تلين
الفيلجة برطوبة الندواة وتثقبها الدودة وتخرج منها وقد نبتت لها
جناحان فتطير ولا يحصل شيء من الابريسم واذا فرغت الدودة من
عمل الفيلجة عرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من
الفيلجة الابريسم ويترك بعض الفيلجات لتثقبها الدود وتخرج
وتبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية في ظرف أنقى من الخزف
أو الزجاج والثياب الابريسمية تنفع من الحكة والجرب ولا يتولد
فيها القمل

(عنكبوت) أصنافه كثيرة لكل صنف فعل عجيب منها الطويلة
الارجل فانها لما عرفت ضعف قواها وانها تعجز عن الصيد أعدت
للصيد مصايد وحبائل من الخيوط فعمدت الى فرجة بين حائطين
متقاربين وتلقي لعابها الذي هو خيطها الى جانب ليلصق به ثم بعد الى

الجانب الآخر وتحكم الخيط في الطرف الآخر وهكذا ثانيا وثالثا وهذا هو السدى ثم تحكم لحمته حتى يتم النسج وكل ذلك على تناسب هندسي حتى يصح النسج ثم تقعد في زاوية مترصدة وقوع الصيد فاذا وقع فيها شئ من الذباب أو البق بادرت الى أخذه * ومنها صنف آخر قصار الارجل يسمى الفهد فانه يصطاد الذباب على شبه صيد الفهد وذلك أنه يتمكن في زاوية فاذا طارت ذبابة بقربه وثب اليها وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا فاذا طار ذباب بقربه رمى نفسه اليه وأخذه * ومنها صنف آخر يقال له الليث وله ست عيون فاذا رأى الذباب لطئ الى الارض ثم وثب فلم يخطئ وثبته وهو آفة الذباب ومنها صنف يقال له الرتيلاء اذا مشى على الانسان يموت الانسان من لدغه وقد مر ذكره يسمى عقرب الثعبان لانه يقتل الثعبان * ومنها صنف دقيق الصنعة يمد نسجه ويصعد بيته فاذا وقعت في مصيدته ذبابة تضطرب فيها فتمشي اليها وتمص رطوبتها والذبابة تدان من الالم الى أن تموت ويحملها الى خزانته للذخيرة وأكثر ما يقع في مصيدته عند غيبوبة الشمس وزعم بعضهم أن العناكب الاناث هي العوامل والذكور تخرق لا تعمل شيأ ومنهم من قال ان السدى من الاناث واللحمة من الذكور لان اللحمة أقوى من السدى وهما كالشريكين في العمل أو كالاستاذ مع التلميذ

(فراش) هو الحيوان الذى يتهافت على السراج ويحترق ذكر خفيف السمرقندي صاحب المعتضد انه كثر الفراش على الشمع بحضرة المعتضد في بعض الليالي فجمعناها فكانت مكوكا ثم ميزت

فكانت اثنين وسبعين شكلا زعم بعضهم ان الفراش دعوص نبتت
جناحها وسبب وقوعها على النار ماذكر بعضهم انها اذا رأت
السراج بالليل تظن انها في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت
المظلم الى المكان المضى فلا تزال تطلب الضوء وترمى نفسها فيه الى
أن تحترق

(نحل) حيوان ذو همة لطيفة وخلقة ظريفة وبنية نحيفة وسط بدنه
مربع مكعب ورأسه مدور مبسوط ومؤخره مخروط وركب
في وسط بدنه أربعة أرجل ويدان متناسبة المقادير كأضلاع الشكل
المسدس وقد جعل فيها الملك ويتوارث الملك أولادها عن آبائها فان
اليعاسيب لا تلد الا اليعاسيب ومن العجب أن اليعسوب لا يخرج
من الكور لانه ان خرج خرج معه جميع النحل فيتعطل العمل وان
هلك اليعسوب وقفت النحل لا تعمل شيأ فتهلك عاجلا واليعسوب
تكون جثته بكثة نحلتين وهو يوزع العمل على النحل حتى ترى
بعضها يعمل الاساس وبعضها يعمل البيت وبعضها يعمل العسل
ومالا يحسن العمل لا يخليها في وسط النحل بل يخرجها وينصب بوابا
على باب الخلية لئلا يدخل اليها من وقع على النجاسات فان وقع شئ
من النحل على النجاسات منعها الدخول واتخاذ بيوتها مسدسة من
أعجب الاشياء والغرض من المسدسات المتساويات الاضلاع
خاصية يقصر فهوم المهندسين عن ادراكها لا توجد تلك الخاصية
في المربع ولا في المخمس ولا في المستدير وهي ان أوسع الاشكال
واجودها المستدير وما يقرب منها أما المربع فيخرج منه زوايا
ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع

الزوايا فتبقى خالية ولو بناها مستديرة لبقى خارج البيوت فرجا
ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لا تجتمع متراصة
ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير
ثم يتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس
فانظر كيف الهمها الله تعالى ذلك وتعمل في فصلين في الربيع
والخريف فتجمع بالايدي والارجل من فوق الاشجار وزهر الثمار
الرطوبات الدهنية التي تبني بها منازلها واولها امشفرات هادان تجمع
بها من ثمرة الاشجار رطوبات لطيفة عجزت عقول الاكثرين عن
معرفتها على الطبائع وخلق في جوفها قوة طابخة تصير تلك الرطوبات
عسلا صافيا لذيذا غذاء لها ولاولادها وما فضل عن غذائها تجعله
مخزونا في بعض البيوت وتغطي رأسه بغطاء رقيق من الشمع حتى
يكون الشمع محيطا بها من جميع الجوانب كانها رأس البراني
مسدودة بالقراطيس وتدخر ذلك لاجل الشتاء وتبيض في بعض
البيوت وتحضن وتفرخ وتأوي الى بعض البيوت وتنام فيها أيام
الشتاء ويوم البرد والرياح والامطار وتتقوت من ذلك العسل
المخزون هي وأولادها لا اسرافا ولا تقتيرا الى أن تأتي أيام الربيع
وتخرج الازهار والانوار فترعى كما كانت تفعل في العام الماضي
ولم يزل هذا دأبها بالهام من الله تعالى * ومن عجائب النحل انها اذا
عرفت اخذ العسل واحست بالدخان جعلت تأكل منه أكلا
ذريعا (حكى) بعضهم ان خلية من خلايا العسل مرض نحلها فجاء
نحل خلية أخرى يقاتلها على العسل الذي في بيوتها يريد اخراجها
من الخلية لتستولي على عسلها فاقبل قيم الخلايا يعاون النحل

الضعف المريض وكان يلسعه النمل الغريب دون المريض كأنها عرفت انه يدفع عنها وأما العسل فذكروا ان الابيض يمسك شبابها والاصفر على كهولها والاحمر على شيبها (تم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) يقول المتوسل بالنبي الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم مايجري جواد البراعه في مضمار طروس ذوي البلاغة والبراعه بأجل من حمد الله تعالى مسدى النعم مفيض هوامع احسانه على الموالي والخدم والصلاة والسلام على من هو للانبياء امام وعلى آله الابرار وصحبه الأئمة الاخيار (وبعد) فقد تم بمطبعة بولاق التي طلع بدر محاسنها بالآفاق طبع الانيس المفيد للطالب المستفيد ولعمري انه لحري بهذا العنوان لما اشتمل عليه من الفرائد الحسان فكان جديرا بان يستنشق كل اديب اريج نفعه في ظل صاحب السعاده وكوكب أفق السياده من هو بحسن الثناء عليه حقيق الخديو الاعظم محمد باشا توفيق متع الله تعالى بوجوده الانام وجعله غرة حسنة في جبين الليالي والايام مشمولا طبعه بادارة رفيع المكانه سعادة حسين حسني بك مدير المطبعة والكاغدخانه ونظارة وكيله ذي المعارف التي عليه تثني سعادة محمد بك حسني وذلك

في أواخر ذي الحجة الحرام عام ستة وتسعين

ومائتين وألف من هجرة من هو للانبياء

ختام صلى الله وسلم عليه

وآله وصحبه كل ختام

الجملة